462

HARLEQUIN

روايات أحلام

ظلال في الليل

آن ميثر

www.elromancia.com

مرمورية

ظلال في الليل

ليام جايمسون . كاتب ذو شهرة عالمية . و مؤلف العديد من روايات الرعب . لكن للشهرة ثمن باهظ . لذا يعيش ليام الآن متخفيا في إحدى الجزر . إنه مضطر لذلك بسبب الندوب التى تركها على جسمه اعتداء تعرض له من قبل أحد الأشرار .

التقى ليام بروزا تشانتري التى كانت متوجهة إلى الجزيرة للبحث عن أختها . لكن روزا لم تتعرف إلى شخصيته . و فضل ليام أن يتركها على جهلها .

شعر ليام بانجذاب شديد نحوها بالرغم من علمه أنها سوف تصاب بالرعب عندما ترى ندوبه . لكن روزا امرأة ملحة وكذلك مشاعر ليام نحوها ... أرادها أن تبقى في قصره خلال الليل لتساعده على نسيان الخوف الذي سببه له ماضيه وجعله يفقد ثقته بنفسه كرجل طبيعي ...

آن ميـــثر

بدأت آن ميثر بالكتابة منذ طفولتها وتطوّرت أعمالها تدريجياً من روايات المراهقين الغرامية العاصفة إلى روايات الحب المتزنة التي تهوى مطالعتها. وهي متزوّجة وأمّ لولدين، يعيشون معاً في شمال إنكلترا. تستمتع آن ميثر إلى جانب الكتابة بهواياتٍ عديدة، منها المطالعة وقيادة السيّارات والسفر إلى أماكن مختلفة حيث تعثر على أفكارٍ لرواياتٍ جديدة. تعتبر آن ميثر نفسها محظوظة جداً بممارسة عملٍ لا تستمتع به فقط، بل يدرُّ عليها المال كذلك.

١ - سائحة

الطقس باردٌ جداً. أنه أكثر برودة مما توقعت روزا. عندما وصلت ليلة الأمس اعتقدت أن إحساسها بالبرد ناتج عن مشاعر القلق والخوف التي تنتابها لا عن زخات المطر القوية. لكن هذا الصباح وبعد قضاء ليلة مقبولة من الراحة وتناول العصيدة الاسكتلندية على الفطور فهمت أن السبب الحقيقي لإحساسها بالبرد هو الطقس الذي يسود في الخارج.

أين هي موجة الدفء التي يفترض أن تغمر أراضي المملكة المتحدة خلال شهري تموز وآب؟ من المؤكد أنها لا تشمل ماليج. قبل أن تخرج جالت روزا ببصرها وهي تشعر بالأسى في أنحاء الغرفة المريحة حيث السرير الذي نامت فيه قبل أن تتناول الفطور.

إن عدم رغبتها في ترك هذه الأشياء المألوفة لديها يعود في جزء كبير منه إلى معرفتها بأنها في الساعات القليلة المقبلة سوف تذهب إلى أرضٍ مجهولة تماماً لديها. زيارة جزيرة تبعد ساعتين عن شاطئ سكوتلاندا ليست كزيارة ممتلكات محلية. لهذا السبب أتت روزا إلى ماليج حيث يقع مرفأ الجزر الغربية. بعد ساعة من الآن ستكون على متن القارب أو السفينة التي ستقلها إلى كليفويل، بالرغم من أنها لاتزال غير متأكدة من وجود صوفي هناك.

لحسن حظها أنها جلبت بعض الثياب السميكة معها. في الصباح لبست قميصاً وكنزة صوفية، وحين شعرت بالهواء الجليدي القادم من جهة المياه يلفح بشرتها فكرت أن عليها ارتداء سترتها المصنوعة من صوف الكشمير وهي تعبر إلى الجزيرة. تمنت لو أنها أحضرت معطفها الجلدي الطويل كي تبقي ساقيها دافئتين أيضاً.

www.liilas-romancia.com

لكن لا بأس بالأمر. فكرت روزا وهي تغادر الفندق متوجهة نحو الطريق العام الضيق أنها تستطيع أن تتحمل رحلة في المياه لمدة ساعتين. قطعت الطريق متوجهة نحو الرصيف ومرت عبر موقف للسيارات ووصلت إلى نهاية الميناء حيث وقفت هناك وكتفت ذراعيها وهي تنظر نحو المياه.

بالرغم من برودة المياه بدا المنظر خلاباً. بدت جزيرة سكاي قريبة جداً، وتساءلت روزا إن كانت تلك الجبال التي تبدو قممها بنفسجية اللون هي جبال كويلينز المشهورة، إلّا أنها لم تتأكد من ذلك. في الواقع لم تكن تعرف سوى القليل عن هذه المناطق من سكوتلاندا. بالرغم من أن جدها فيرارا كان مسجوناً في مكان ما بالقرب من إدينبرغ خلال الحرب، إلا أنها لم تتجه شمالاً أبعد من غلاسغو. لدى روزا أعمام وعمات وأقرباء يسكنون هناك لكنها نادراً ما تزورهم.

أدركت الآن أنه كان عليها أن تتحلى بروح المغامرة أكثر حين سنحت لها الفرصة. لكنها قصدت مدرسة في إنكلترا وتزوجت من فتى إنكليزي وعاشت في يوركشاير معظم أيام حياتها. بدا من السهل أن تعزو سبب عدم رغبتها بالمجازفة إلى وجود والدتها الأرملة وأختها الصغيرة. لكن في الحقيقة لم تكن روزا من النوع الذي يحب المغامرة، كما أن كولين كان يفضل قضاء العطلة في إسبانيا حيث يحصل على بشرة سمراء طبيعية.

بالطبع لم تعد تستطيع اختلاق الأعذار لكولين، فمنذ ثلاث سنوات اكتشفت أنه يخونها مع سكرتيرة مديره. يومها لم تتردد روزا في طلب الطلاق. توسل كولين إليها أن تعيد التفكير في الأمر قائلاً إنه لا يجدر بها أن تدمر زواجاً دام خمس سنوات بسبب غلطة واحدة. لكن لم تكن تلك المرة الأولى التي تشك فيها بخيانته لها، وهي متأكدة أنها لن تكون المرة الأخيرة.

لحسن الحظ أو ربما لسوئه بالنسبة لروزا، أنهما لم يكونا قد رزقا بأولاد بعد كي يصيبهم الأذى من هذا الانفصال. لم تعلم روزا إن كانت هي السبب في عدم الإنجاب أم كولين لكنها لم تحبل أبداً. خلال فترة الطلاق لامها كولين على خيانته لها قائلاً إنها لو أمضت المزيد من الوقت معه بدلاً من

قضاء الوقت في المدرسة مع تلاميذ لا يقدرونها لبقي أمامهما فرصة لتحسين زواجهما. علمت روزا أن تلك مجرد حجة له لا أكثر. لولا الراتب الذي تتقاضاه من المدرسة الإنكليزية لما تمكن كولين من القيام بتلك الرحلات المتكررة إلى المناطق التي يحبها كثيراً.

على أي حال، هذا كله أصبح من الماضي، وبالرغم من أن بعض الأشياء التي قام بها كولين لا تزال تؤلمها قليلاً لكنها بشكل عام عادت تتابع حياتها بشكل طبيعي إلى أن رن جرس الهاتف بالأمس، الأمر الذي دفعها إلى القيام بهذه المغامرة الغامضة، وها هي متوجهة الآن إلى كليفويل. في الواقع أصبحت والدتها يائسة وغارقة في مشاعر القلق، وعلمت روزا أنه لم يعد أمامها خيار إلا القيام بما تتمناه أمها.

تنهدت وهي تلقي يديها فوق الحاجز المصنوع من القضبان، وراحت تحدق في المياه وكأن المنظر سيعطيها الإجابة التي تبحث عنها. ماذا لو كانت والدتها مخطئة؟ ماذا لو لم تكن صوفي في تلك الجزيرة؟ هل ستجد نزلاً أو فندقاً صغيراً حيث بإمكانها قضاء الليل حتى يعود المركب في اليوم التالي؟

قيل لها إن مكتب الحجز لا يفتح قبل الساعة التاسعة صباحاً وإنها لن تجد صعوبة في إيجاد تذكرة للذهاب إلى كليفويل. من الواضح أن هناك زحمة كبيرة بين ماليج وأرماديال حيث يقع مرفأ سكاي إذ ينزل كل الركاب هناك. لكن لم يكن هذا هو القارب الذي تريده روزا، فهي تريد ركوب السفينة التي تقل السياح إلى الجزر الأبعد من أرمادايل. للمرة الأولى تمنت لو أن والدتها أتت معها. من الجيد وجود شخص تعرفه وتتكلم معه خلال الرحلة.

* * *

قاد ليام سيارة الأودي إلى موقف السيارات. أنزل قدمه من السيارة، ثم وضع إحدى يديه فوق سطحها واليد الأخرى فوق باب السيارة ودفع بنفسه إلى الخارج فيما راح ينظر حوله.

الهواء القادم من فوق المياه بدا قاسياً كضربة السكين، لكنه لم يلاحظه. ولد ليام في هامبستاد لكنه يعيش في سكوتلاندا منذ عشر سنوات. في الواقع

إنه يعيش هناك منذ أن حقق كتابه الأول نجاحاً مدهشاً، وقد اعتاد على قساوة الطقس في هذه المنطقة. قرأ أحد المخرجين في هوليوود كتابه وأعجبه، فحوله إلى فيلم رائج جداً. بعد ذلك، ومع مرور الوقت أصبح من الصعب عليه تحمل حياته في كندن.

وضع يده فوق فخذه حيث ما زال يشعر بالألم بالرغم من ارتدائه سروال الجينز المريح. إنه محظوظ. من بين كل الجروح التي أصيب بها كاد ذلك الجرح يقتله، فضربة السكين التي تلقاها مزقت شريانه وسببت خسارته لكمية كبيرة من الدماء وقطع ما يكفي من الأعصاب والأوتار لتتركه مع ضعف دائم في رجله اليسرى، إلا أنه كان محظوظاً لأنه لايزال حياً. لكن المعتدي مات، فحين تأكد أنه حقق هدفه وجه السكين نحو صدره وقتل نفسه.

كشر ليام محاولاً إبعاد تلك الأفكار عن رأسه. حصل ذلك منذ زمن بعيد، ومنذ ذلك الحين لم يتسبب أي كتاب من كتبه بنوبة من الجنون لأي من قرائه. أخذ ليام نفساً عميقاً من هواء البحر البارد فيما شعر بالسعادة لأنه قاد سيارته من لندن أثناء الليل ليتمكن من الالتحاق بالسفينة التي تغادر في الصباح من المرفأ. لن يتمكن من إيجاد سفينة أخرى قبل الخميس وهو لم يعد يستطيع الانتظار حتى يعود إلى كليفويل ويبدأ بالعمل من جديد.

أقفل ليام السيارة وحرك عضلات يديه وقدميه التي أصبحت متيبسة بسبب القيادة لعشر ساعات متواصلة. توقف عند الساعة الثالثة فجراً ليشرب القهوة ونام لعشرين دقيقة، ثم عاد ليكمل رحلته. لكن لم يكن الأمر مماثلاً للنوم في سريره بالطبع.

لفتت نظره امرأة تقف في مكان بعيد منعزل وتتكئ فوق السياج عند المرسى. أثار انتباهه شعرها الأحمر الداكن والمجعد لدرجة أن ربطة شعرها لم تستطع جمعه عند مؤخرة رأسها. لكن بدا كأن المرأة لا تكترث لمنظر شعرها. كانت تنظر باتجاه سكاي كأنها تتمنى إيجاد إجابة ما بين الغيوم التي تجمعت فوق التلال الغارقة بالأمطار.

هزّ ليام كتفيه. من الواضح أن هذه المرأة زائرة، فهي ترتدي ثياباً صيفية في هذه المنطقة الجبلية. فكر أن درجة الحرارة في هذا المكان تكون عادة أكثر انخفاضاً مما هي عليه الآن على الرغم من هذا الهواء الشمالي الذي يلسع كالسكين.

أسرع جاك ماكلود الذي يدير مجموعة من السفن والقوارب التي يؤجرها للسياح لاستقبال ليام وهو يتوجه نحو السفينة، وقال له: «أيها الغريب، كنا قد بدأنا نعتقد أنك غيرت رأيك ولم تعد تريد العودة إلى هنا».

علق ليام إبهاميه في جيبيه الخلفيين فانفتحت قميصه حول عنقه وظهر شعر صدره الداكن، ثم ردّ قائلاً: «لن تتخلص مني بهذه السهولة. لقد عدت في أسرع وقت ممكن. قضاء مدة طويلة في المدن الصاخبة لم يعد يعجبني».

نظر جاك نحو صديقه بقلق وسأله: «سمعت أنك ذهبت إلى لندن لرؤية الطبيب. هل هذا صحيح؟ أتمنى ألا يكون هناك أمر خطير».

- إنها مجرد فحوصات عادية

في الواقع لم يشأ ليام أن يتحدث عن شؤونه الخاصة في العلن. أدرك أن صوتيهما جذبا انتباه تلك المرأة على المرسى فنظرت نحوهما من فوق كتفها.

شعرت روزا بإدراكهما لاهتمامها بالحديث فأشاحت ببصرها بعيداً، لكن ليام تمكن من حفظ تفاصيل وجهها ولون عينيها الداكنتين الغريبتين بالنسبة لامرأة تملك شعراً بلون شعرها. بالطبع قد لا يكون لون شعرها طبيعياً، كما أنها بدت نحيفة جداً بالرغم من طولها.

لم يدرك جاك عدم انتباه ليام لكلامه وهو يقول: «إذاً ستستقل القارب الصباحي».

حاول ليام أن يركز على ما يقوله صديقه، ثم وافق قائلاً: «نعم. إن كان ذلك ممكناً».

أكد له جاك أن من المستحيل أن يخذله أنغوس غالاغير. وحين التفت ليام نحو المرأة على المرسى كانت قد اختفت.

عادت روزا إلى غرفتها، فجمعت أمتعتها وغادرت المبنى متجهة نحو

المرفأ من جديد كي تأخذ مكانها على السفينة المتجهة إلى كيلفويل. افترضت أنها تبدو تماماً كأي سائح آخر بسروالها الجينز وحقيبة الظهر التي تحملها فوق كتفيها. لم ينظر السياح الآخرون الذين يحملون الحقائب على ظهورهم أيضاً نحوها، على العكس من الرجلين الذين كانا في موقف السيارات هذا الصباح، أو على الأقل كما نظر نحوها أحدهما. فقد راقبها بتمعن شديد.

لاشك أنه لاحظ أنها أيضاً تنظر نحوهما. شعرت روزا بانزعاجه منها، لكنها لم تعلم إن كان ذلك بسبب مظهرها أم لأنها كانت تنظر نحوهما.

مهما كان الأمر فقد بدا الرجل جذاباً. قدرت روزا طوله بست أقدام كما لاحظت كتفيه العريضتين بوضوح تحت قميصه. فكرت أنه ربما يكون أحد الصيادين الذين يتسكعون على المرفأ. لم يبدُ كأحد السياح، كما أن الرجل الذي كان برفقته يرتدي سروالاً وينتعل حذاء مخصصين للمياه.

بالتأكيد هي لن تلتقي بهما مجدداً إلا إذا كان أحدهما قبطان السفينة التي تأمل أن تركبها. ربما يتذكر أحد المسافرين على متن السفينة فتاة شقراء جميلة سافرت إلى كيلفويل الأسبوع الماضي. هل ستجرؤ على سؤال أحدهم عن ليام جايمسون؟ على الأرجح أنها لن تفعل. من المعروف عنه أنه يعيش حياته منعزلاً عن الناس، بحق السماء. فلماذا تراه يحضر مهرجاناً لموسيقى البوب في غلاستونباري؟ أتراه يقوم بالأبحاث، أم أن لديه سبباً آخر؟

شعرت روزا بالتشوش في تفكيرها حين خطر ببالها ما أخبرتها أمها به. سبق لصوفي أن قامت ببعض التصرفات المجنونة، لكن لا شيء يشبه ما فعلته هذه المرة. اعتقدت روزا أن أختها استقرت أخيراً، وأنها سوف تنتقل للعيش مع مارك كامبيون. أما الآن فقد انتهت تلك العلاقة بسبب رجل التقته في مهرجان للبوب.

أخذت روزا تذكرتها وعادت إلى الخارج. توقف هطول المطر الذي كان يهدد بعاصفة كبيرة وسطعت الشمس عالياً فوق البحيرة. فكرت روزا أنها إشارة جيدة، ثم بدأت تبحث عن السفينة التي قيل لها إنها ستغادر بعد خمس وأربعين دقيقة. بدأ المسافرون المشاة بالصعود أولاً قبل إدخال السيارات

والعربات الأخرى إلى أحد طوابق السفينة.

وقفت روزا في الصف بانتظار الدخول، وفي تلك الأثناء رأت ذلك الرجل ينتظر في سيارته حتى يأتي دوره لإدخالها إلى السفينة. تسارعت دقات قلبها بشكل مفاجئ. إذاً، هو سيركب السفينة ذاتها. يا للصدفة الغريبة! بدا من الغرابة توجهه إلى كيلفويل، فكما أخبرتها السيدة هاريس صاحبة النزل، كيلفويل كانت منطقة مهجورة لسنوات طويلة قبل أن يشتريها ذلك الكاتب المشهور الغني ويعيد ترميم القصر المتهدم ليحوله إلى منزل له.

إنه ليام جايمسون بالتأكيد. لكن روزا لم ترغب بأخذ المزيد من المعلومات من المرأة العجوز حتى لا تكتشف هذه الأخيرة السبب الحقيقي الذي دفعها للمجيء إلى الجزيرة. أخبرتها أنها تريد أخذ صورٍ فوتوغرافية للمنطقة لأنها تكتب مقالاً عن الجزيرة، إلا أن السيدة هاريس حذرتها بأن الجزيرة هي ملكية خاصة وأن عليها أخذ الإذن كي تصورها.

لم تعد روزا ترى ذلك الرجل حين صعدت إلى السفينة مع المسافرين الآخرين. راحت ترتجف من البرد وهي تصعد الدرج نحو الطبقة العليا بسبب الهواء القارس، بالرغم من سترة الكشمير التي كانت ترتديها. يا إلهي! فكرت روزا لما قد يفكر أحدهم في العيش هنا مادام يملك المال لشراء جزيرة. لمَ لم يختر جزيرة بربادوس... أو سيمان مثلاً، لكن كيلفويل؟ إنه مجنون بالتأكيد.

بعد الامعان في التفكير قررت أنه ربما يستوحي الكثير من الأفكار من هذه الجزيرة الموحشة لكتابة قصص الرعب. وبحسب ما أخبرتها أختها فهم يقومون بتصوير روايته الأخيرة على الجزيرة نفسها. لكن هل هذا صحيح؟ أمن الممكن أن تكون القصة التي أخبرتها صوفي لمارك صحيحة؟ ما كانت روزا لتصدق هذا، لكن والدتها صدقت كل كلمة منها.

لو أن جايمسون لم يورط صوفي! إنها في الثامنة عشرة من عمرها وسهلة المنال وحلمها الوحيد أن تصبح ممثلة محترفة.

بما أن صوفي التقت بجايمسون، لا شك أنها شعرت بالاعجاب الشديد

به. لقد باع كتابه ملايين النسخ، وكانت صوفي تشتري كتبه حالما تصدر. كما أن أفلامه هي الأنجح حتى الآن في صالات السينما. تضم أعماله دائماً لمسة خاصة وخطاً مختلفاً يميزه عن غيره لاسيما لجهة استخدامه الدائم لمصاصي الدماء، وكأن هذه أصبحت علامة تجارية تخصه.

لكن هل يعقل أنه يشارك في مهرجانات الروك؟ حصلت أمور غريبة بالتأكيد، واستطاعت صوفي أن تقنع مارك أنها فرصة لا تستطيع تفويتها. لمَ لم تتصل بوالدتها وتخبرها؟ لمَ جعلت مارك يقدم أعذاراً غير مقنعة لها؟ لكن... إن كانت تكذب فأينَ هي بحق السماء؟

لحسن الحظ أن هناك كوخاً صغيراً لبيع السندويشات والعصير والشراب الساخن على ظهر السفينة. مشت روزا إلى الداخل بارتياح، ثم أخذت مقعداً بجانب النافذة كي تستطيع مشاهدة الناس الذين يتحركون على الرصيف.

لم يستغرق صعود بقية المسافرين وقتاً طويلاً، كما اختفت جميع السيارات التي من المفترض أن تصعد إلى السفينة. فكرت روزا أنه يجدر بهم ركن السيارات بحسب ترتيب الجزيرة التي يتوجه إليها أصحابها، وتساءلت إن كان الرجل الذي رأته معتاداً على ذلك الروتين.

من المفترض أن تتوجه السفينة إلى كيلفويل ومن بعدها إلى الجزر الأخرى حسب المواعيد. شعرت روزا بالفرح لأن هذا يعني أن الطريق إلى كيلفويل هو الأقصر. وبينما تحركت السفينة من مكانها وتوجهت نحو المياه العميقة تمنت روزا أن تصل إلى وجهتها في أقرب وقت ممكن.

بدت جزيرة سكاي قريبة جداً حين أبحروا، كما طوقتهم الجزر الأخرى من جميع الجهات في مكان ما خلال الرحلة، ما أعطى طابعاً حميماً للسفينة. لكن بعد ذلك اتسع عرض المياه وازداد العمق ما جعل حركة السفينة تزيد صعوداً وهبوطاً في المياه فوق الأمواج.

أحنت روزا كتفيها وحدقت بمجموعة الناس الواقفين بالقرب من كوخ الطعام، وتمنت لو أنها اشترت لنفسها شراباً قبل ازدياد الازدحام. أما الآن

فلم تعد واثقة من قدرتها على المشي نحو الكوخ من دون الشعور بالدوار. لم تكن روزا يوماً مبحرة جيدة وهذه السفينة التي تتحرك بقوة بدت أسوأ من تلك التي استقلتها مع كولين للذهاب إلى بولونيا.

- هل أنت بخير؟

فكرت روزا أنها تبدو شاحبة. أدارت رأسها لتجد الرجل الذي رأته في موقف السيارات ينظر إليها. إذاً لقد صعد على متن هذه السفينة! لاحظت أن حركة السفينة المتقلقلة لم تكن تزعجه. بدا قوي البنية تماماً كما فكرت في الصباح، وهو يرتدي سترة جلدية فوق قميصه وسروال جينز، وقد ظهرت تحت القميص بشرته السمراء وشعره القاسي.

نسيت روزا مشاكلها لبرهة وهي تفكر أنه يبدو جذاباً، لكنه ينتظر جوابها لذا أجبرت نفسها على إظهار ابتسامة وقالت: «لم أتوقع أن تكون الرحلة صعبة بهذا الشكل».

اعترفت روزا بذلك وهي تتساءل إن كان قد لاحظ أنها ترمقه بنظراتها. حاولت إبعاد نظرها إلى أي اتجاه آخر لكنها لم تستطع. تابعت تقول: «أعتقد أنك معتاد على الأمر. أليس كذلك؟».

ضاقت عيناه فغطت رموشه السوداء الكثيفة عينيه الخضراوين الصافيتين. يا إلهي! إنه فعلاً ذو مظهر رائع. فكرت روزا بذلك وهي تلاحظ بشرته السمراء وفكه القوي وفمه الذي يبدو أنيقاً بشكل غريب بالرغم من شفتيه الرقيقتين. تكلم الرجل من جديد وبدا صوته أكثر قسوة من ذي قبل، ما جعلها تنتبه من شرود أفكارها وهي تلاحظ لهجته التي تخلو من اللكنة الاسكتلندية.

- لماذا تقولين ذلك؟

طرفت روزا بعينيها وبدت للحظات غير قادرة على تذكر سؤاله.

لكن ما إن تذكرت لاحقاً حتى قالت: «هـمم... فكرت فقط أنك تبدو متآلفاً مع المحيط، لكن يبدو أنني مخطئة. أنت إنكليزي، أليس كذلك؟».

قطب ليام حاجبيه، وشعر بالغضب من نفسه لأنه سألها إن كانت تشكو

من خطب ما. لكنها بدت شاحبة وشعر بالأسف من أجلها. بدا من الواضح أنها لا تنتمي إلى هذا المكان. لم تكن تلبس ثياباً مناسبة للمياه ولا جزمة مناسبة، حتى نوع الحقيبة التي تحملها بدا رديئاً.

- لا نتكلم جميعنا اللهجة الغيلية.

هزت روزا كتفيها النحيلتين، ثم قالت: «بالطبع! إذاً هل تعيش على إحدى الجزر؟».

على الأقل جعلتها المحادثة بينهما تغض النظر عن البحر الهائج في الخارج.

أجابها بطريقة أزعجتها حين قال: «ربما. آمل ألّا تفكري بتسلق الجبال وأنت ترتدين هذه الثياب».

- لا شأن لك بما جئت لأفعله.

- لا. لكنني أفكر بصوت مرتفع. في الواقع، لم أستطع إلّا أن ألاحظ كم كنت تشعرين بالبرد هذا الصباح.

إذاً لقد رآها! أصبحت روزا أقل عدائية تجاهه، وقالت: «الطقس أكثر برودة مما ظننت. لكنني لا أتوقع أن أبقى هنا لمدة طويلة».

- هل جئت لزيارة قصيرة؟

- شيء من هذا القبيل.

عبس ليام وسألها: «ألديك أقرباء هنا؟».

حبست روزا أنفاسها. إنه بالتأكيد يطرح الكثير من الأسئلة، لكنها تذكرت أنها أرادت أن تسأل إن كان أحدهم قد رأى أختها هنا. إن كان هذا الرجل يستخدم السفينة بشكل دائم ربما يكون قد رآها.

- في الواقع، أنا آمل أن ألتقي بأختي. إنها فتاة شقراء. أعتقد أنها قامت بهذه الرحلة منذ يومين.

- لا أظن ذلك، فهذه السفينة لا تنطلق من هنا إلّا يومي الإثنين والخميس. إن كانت قد قامت بهذه الرحلة فلا شك أنها فعلت ذلك الخميس الماضي.

ابتلعت روزا ريقها. كانت صوفي لاتزال في غلاستونباري يوم الخميس الماضي مع مارك. اتصل مارك بوالدتها ليلة السبت ليخبرها بما حدث، وعلى الأثر اتصلت السيدة تشانتري بروزا وهي في حالة أقرب إلى الهستيريا.

- هل أنت واثق من ذلك؟

حاولت روزا أن تستوعب ما سمعته، وتساءلت إن كان ليام جايمسون يملك طائرة أو هليكوبتر خاصة. ربما هو كذلك. لمَ عليه أن يسافر على متن سفينة مثل بقية الناس؟ ربما يملك أيضاً قارباً يَبقيه في ماليج. بدا من السذاجة أن تفكر بشكل مختلف.

رد ذلك الرجل عليها قائلاً: «أنا متأكد. أهذا يعني أنّ أختك قد لا تكون هناك في النهاية؟».

- ربما.

لم تشأ روزا أن تشاركه في أفكارها. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «هل تعلم إن كان الطريق لا يزال طويلاً للوصول؟».

قال ليام بنبرة جافة: «هذا يتوقف على الجزيرة التي تقصدينها».

كان ليام يشعر بالفضول في داخله، وقررت روزا أنه لن يضرها أن تخبره عن وجهتها.

- هـمم... أنا ذاهبة إلى كيلفويل.

أدركت على الفور أن كلامها فاجأه، وفكرت أن تدعه مرتبكاً لبعض الوقت فهو لم يكن صريحاً معها كلياً.

٢ - من أنت؟

شعر ليام بالمفاجأة. هو يعتقد أنه يعرف كل العائلات التي انتقلت إلى الجزيرة بعد أن اشتراها. ظلت الجزيرة غير مأهولة لسنوات عديدة، وبعد انتقال تلك العائلات إليها احتاجت المزارع إلى الكثير من العمل والمجهود الجماعي لإعادة الحياة إليها. وبما أنهم أخذوا جميعهم يتعاونون لإعادة تسييج المزارع وترميمها ووصل مولد الكهرباء إلى المنازل فقد أصبحوا كلهم أصدقاء لليام، بالإضافة إلى أنهم مستأجرون لديه. أما اليوم فقد أصبح لكيلفويل اقتصاد جيد بسبب السياحة والصيد والزراعة التي أمنت لجميع السكان الذين يصل عددهم إلى مئة نسمة مداخيل جيدة.

أراد أن يسألها لما تعتقد أن أختها في كيلفويل لكنه علم أنه طرح العديد من الأسئلة. حسناً! إنها تخدعه بمظهرها الخجول وجهلها التام للجزيرة. فكر ليام أن حدسه لا يخطئ. لاشك في وجود سبب أكبر من مجرد لقاء عادي بين شقيقتين. ربما تكون هاربة برفقة صديق لها. لكن لم تراها ستأتي إلى كيلفويل؟ بحسب علم ليام، ليس هناك أي كاهن في الجزيرة ليزوجهما.

- سنصل بعد ساعة.

شعر ليام بابتعادها، فتركها وتوجه نحو البار. خف الازدحام الآن، وأصبح المكان هادئاً. راقبته روزا وهو يتحدث مع الموظف الشاب. أعطاه النقود فناوله كوبين من البلاستيك من فوق الطاولة.

كوبين؟!

أبعدت روزا نظرها عنه بسرعة. هل أحضر واحداً لها؟ لم تجرؤ على النظر نحوه، ولم تجرؤ على رؤيته وهو يتوجه نحو المكان الذي تجلس فيه لأنها

قد تكون مخطئة.

- هل تريدين القهوة؟

لا. هي ليست مخطئة. إنه يقف أمامها.

- آه... !هـمم... ما كان يجدر بك إحضار واحد لي.

لكنها أخذت الكوب، وتابعت تقول: «شكراً».

رفعت الغطاء البلاستيكي وتذوقت القهوة، ثم قالت: «لمَ لا تجلس؟».

تردد ليام قليلاً. ليس من عاداته شراء القهوة لامرأة غريبة ومشاركتها الأحاديث، لكنها بدت غريبة جداً عن المكان ولم يستطع تجاهل الأمر. ربما تكون صحفية متشوقة للحصول على قصة ما.

في مطلق الأحوال، بدت ضعيفة جداً بسبب وجودها بمفردها. وجد مكاناً فارغاً بجانبها وجلس فيه. نظرت روزا نحوه نظرة تقييمية وهو يفتح كوبه الخاص، أما هو فلم تفته تلك النظرة. قال: «إنه ساخن على الأقل».

أكدت له روزا بالرغم من أن القهوة لم تعجبها كثيراً لأنها مرّة: «نعم، إنها جيدة. لطفٌ منك أن تحضر كوباً لي».

هز ليام كتفيه وقال: «إنه حسن الضيافة لدى الاسكوتلنديين. نحن مشهورون بذلك».

رمقته بنظرة جانبية وقالت: «إذاً أنت اسكوتلندي؟ لا شك أنك تعرف المنطقة جيداً. كيف تبدو كيلفويل؟ هل هي منطقة غير متحضرة؟».

حبس ليام أنفاسه، وكادت القهوة في فمه تخنقه. قال حين أصبح قادراً على التحدث من جديد: «أين تظنين نفسك؟ في أدغال منغوليا؟».

- لا. إذاً أخبرني عن الجزيرة. هل هناك منازل ومحلات تجارية وفنادق؟

تردد ليام وشعر بالحيرة. هل يخبرها عن جزيرته بحماس وبالتفصيل أم يحاول أن يبدو غير متآلف مع المحيط؟

- إنها كالعديد من الجزر الأخرى. هناك قرية، وبإمكانك شراء معظم الحاجيات التي قد تحتاجين إليها من السوق المحلي. كما يتم إحضار البريد

والأشياء الأكثر رفاهية في السفينة. أما السياح فينزلون في الفنادق المحلية.

شعرت روزا بالارتياح وقالت: «إذاً هي ليست منطقة منعزلة. أليس كذلك؟».

فكر ليام بمقدار شعوره بالراحة والأمان حين يعود إلى الجزيرة. قال: «إنها جميلة. كل هذه الجزر جميلة. ما كنت لأختار العيش في أي مكان آخر».

- أين تعيش؟

ها قد أحرجته بسؤالها. أجاب بشكل سريع: «في كيلفويل».

ثم قرر أنه تحدث كثيراً معها، فوقف على قدميه وقال: «اعذريني الآن. علي أن أتفقد سيارتي».

حين اختفى أنهت روزا ما تبقى من قهوتها. لم تتفاجأ كثيراً بجوابه، لكنها لم تستطع إلا أن تتساءل ما الذي يفعله رجل مثله في هذا المكان. هل يعقل أن يكون صياد سمك؟ لكن ذلك لم يبدُ منطقياً لها. ثم خطرت ببالها فكرة أخرى، ربما كان يعمل مع ليام جايمسون أو مع فريق عمل الفيلم إن كانوا يصورونه هنا.

كان عليها أن تسأله إن كان فريق عمل الفيلم موجود في الجزيرة. لكن لو فعلت لاضطرت إلى تقديم المبررات وشرح السبب الحقيقي لوجودها هنا. لا! من الأفضل أن تنتظر حتى تصل إلى هناك قبل أن تبدأ بطرح أسئلة مماثلة. إنها لا تريد أن تنبّه جايمسون إلى وجودها هناك.

لم تستطع روزا منع الارتجاف الذي أصابها حين فكرت بما عليها القيام به. المهمة التي أتت من أجلها. ما هذا الموقف الذي تضع نفسها فيه بحق السماء؟ حسناً! إن كان فريق عمل الفيلم موجود في الجزيرة لاشك أن السكان سيعلمون بالأمر. أما إخبارها بمكان سكن ليام فهو مسألة أخرى.

بدا لها كأن هذه الرحلة من دون نهاية. شعرت أنها أسوأ من الرحلات الثلاث التي قامت بها في القطار كي تصل إلى ماليج. فحينها على الأقل استطاعت أن تمتع نظرها بالمناظر الخلابة المنتشرة على الطريق. باستثناء تلك الجزر المغطاة بالضباب لم تكن ترى روزا حولها سوى المياه.

تنهدت روزا ونظرت إلى ساعتها. إن كان ما أخبرها به ذلك الرجل صحيحاً فمن المفترض أن يصلوا قريباً إلى الجزيرة. نظرت إلى الأمام نحو مقدمة السفينة ورأت أنهم أصبحوا تماماً أمام اليابسة. لكن... أهذه هي كيلفويل؟ تمنت روزا ذلك حقاً. ستقوم فوراً بالاتصال بأمها حالما تطأ قدمها أرض الجزيرة.

لا شك أن لوسيا تشانتري يائسة لسماع أي خبر منها، فصوفي لاتزال طفلتها، بالرغم من أنها تعرف كما يعرف الجميع أن ابنتها أنانية وأن اهتمامها يتمحور حول نفسها فقط. كما أن روزا متأكدة من دون أي شك أن صوفي هي الابنة المفضلة لدى أمها. صوفي لا تخطئ أبداً بنظر لوسيا، أما روزا فترتكب الكثير من الأخطاء. يكفي ذلك الخطأ الذي ارتكبته بزواجها بكولين. فأمها لم تحب يوماً زوجها، ولم تتردد أبداً بلومها حين تصرف كولين بنذالة تجاهها.

بدأت حركة السفينة تتباطأ الآن، ثم توقف محركها عن العمل استعداداً للوصول إلى كيلفويل. وقفت روزا على قدميها وهي متشوقة لرؤية الجزيرة التي تقصدها. لا شك أن هذه الجزيرة هي عبارة عن مجموعة من المزارع الفقيرة المنتشرة عبر الجبال. لكن الضباب لم يساعدها على رؤية المكان، وكانت واثقة أن المكان سيبدو أفضل تحت أشعة الشمس.

بعد خمس عشرة دقيقة كانت روزا تقف على الرصيف وتراقب السيارات القليلة المتوجهة نحو الجزيرة من السفينة. أجالت بصرها في ما حولها، ورأت الطريق الذي يصل نحو البلدة كما رأت الجبال الممتدة خلفها. فجأة بدت الجزيرة أكبر بكثير مما توقعت. لكن ما الذي كانت تتوقعه حقاً؟ إن كانت صوفي هنا ولم تكن تكذب، فكيف ستستطيع إقناعها بالعودة إلى المنزل؟ إن كانت مصرة على إكمال طريقها لتصبح نجمة سينمائية، فلا شيء مما ستقوله روزا سيؤثر فيها.

بينما كانت روزا تبحث عن مكتب للبريد تحت سيارة أودي رمادية تتجه نحوها. لاحظت أن الرجل الذي أحضر لها القهوة هو السائق فالتفتت

بعيداً. لم تكن تريده أن يعتقد ولو لبرهة أنها تبحث عنه.

شعرت بالارتياح حين قطعت السيارة من أمامها وأكملت طريقها. لكن فجأة توقفت السيارة عن متابعة سيرها، ثم رأت الضوء الذي ينبئ بأنها سترجع إلى الخلف من جديد. أوقف السائق السيارة أمام روزا مباشرة، وفتح الباب بجانبه. رأته يخرج قدميه من الباب ليقف بصعوبة ثم يلتفت نحوها.

لاحظت أنه يتكئ على إحدى قدميه أكثر من الأخرى، وهو أمر لم تلاحظه على السفينة. لا بد أن حركة السفينة المستمرة أخفت ذلك، فهي نفسها لم تكن تستطيع الوقوف بشكل ثابت هناك.

أما ليام فشتم نفسه بسبب التصرف الغبي الذي قام به حين عاد بالسيارة إليها. لكن... تباً! فكر أنه يمكن للفحة هواء أن تطيرها من مكانها. هي بالتأكيد ليست مهتمة به، فقد لاحظ الطريقة التي أدارت بها ظهرها نحوه. لِمَ تراه يحاول أن يلعب دور الفارس المغوار مجدداً؟

سألها وهو يجبرها على الالتفات نحوه: «هل تواجهين مشكلة ما؟».

أجابت باختصار وهي تتمنى أن يرحل ويتركها وشأنها: «لا».

لكن هناك احتمال بأن يكون مفيداً لها، لذا عليها أن تشعر بالامتنان لوجوده. تابعت تقول: «هـمم... كنت أبحث عن مكتب البريد. هذا كل ما في الأمر. أردت أن أسأل أين يقع قصر كيلفويل».

أصبح ليام أكثر حذراً الآن.

- قصر كيلفويل؟ لماذا تبحثين عنه؟ إنه غير مفتوح للعامة.

تنهدت روزا وقالت: «أعرف ذلك».

لم تعلم روزا ما الذي دفعها للوثوق به، فتابعت تسأله: «هل تعلم إن كان هناك فريق عمل خاص بفيلم سينمائي يعمل هناك؟».

أصبح ليام أكثر اهتماماً بأمرها الآن. أتراه كان مخطئاً بشأن هذه المرأة؟

- فريق عمل خاص بفيلم سينمائي؟

- نعم فريق عمل فيلم سينمائي. فهمت أنهم يصورون فيلماً من إحدى

روايات ليام جايمسون في هذه الجزيرة.

حدق ليام فيها، وحاول أن يقرر إن كانت فعلاً ساذجة كما تبدو.

- لماذا تعتقدين أن ليام جايمسون قد يسمح لفريق العمل بتصوير الفيلم في بيته؟ ربما يقومون بتحويل رواياته إلى أفلام لكنهم لا يصورونها هنا.

هل تخيل الأمر أم أن كتفيها اهتزتا فعلاً بسبب هذه الأنباء؟ ما الذي يحدث بحق السماء؟ هل كانت تتوقع أن تجد أختها معهم؟ قال لها بلطف: «أعتقد أنك أخطأت. ربما أعطاك أحدهم معلومات خاطئة. بإمكاني أن أؤكد لك بأنه لا يوجد أي فريق عمل لأي فيلم في القصر أو في أي مكان آخر على الجزيرة».

هزت روزا رأسها وقالت: «هل أنت واثق من ذلك؟».

- نعم. أنا واثق.

- هل تحاول فقط الإيقاع بي؟

- لا، بحق السماء! أتفهم أن يكون الأمر قد سبب لك صدمة، لكنني لا أعتقد أن أختك هنا.

قطبت روزا حاجبيها وقالت: «لا أتذكر أنني أخبرتك باعتقادي أن أختي موجودة مع فريق عمل الفيلم».

- لا، لكنني جمعت الأفكار مع بعضها واستنتجت ذلك بنفسي.

عضت روزا شفتها وقالت: «حسناً! ربما اعتقدت أن صوفي برفقتهم. لكن إن لم تكن معهم فربما ستكون في أي مكان آخر».

- أتعنين على الجزيرة؟

- نعم. لذا من الأفضل أن ترشدني إلى قصر كيلفويل. هل يوجد سيارات أجرة أو ما شابه؟ بإمكاني استئجار سيارة إن كان المكان بعيداً.

سألها ليام وهو يحاول عدم إظهار غضبه: «لِمَ بحق السماء تعتقدين أن أختك قد تكون في قصر كيلفويل؟».

تنهدت روزا وقالت: «يبدو أنها قابلت ليام جايمسون في مهرجان البوب في فلاستونباري منذ بضعة أيام، وأخبرها أنهم يعدون فيلماً لآخر رواياته

في اسكتلندا، وعرض عليها اختباراً للتمثيل».

بدا له كأنها بدأت تتكلم بلغة لا يعرفها، ولم يستطع فهم شيء مما قالته. حتى صباح يوم السبت كان لايزال في العيادة في لندن! إنه يحاول الحصول على علاج للتخفيف من التشنج الذي أصاب عضلات رجله، بالإضافة إلى أنه لم يشارك يوماً في أحد مهرجانات البوب.

أدرك ليام أنها تنتظر منه جواباً. من الواضح أنها صادقة في كل كلمة قالتها. من الصعب أن تتمكن من ادعاء ما يظهر على وجهها من توقعات وتعابير. لكن تباً! إن كانت أختها قد اخترعت قصة كهذه، فكيف أمكنها أن تصدقها؟ أي شخص يعرف ليام جايمسون سيكتشف أنها كذبة.

لكن ربما هي لا تعرف عنه شيئاً، وهي بالتأكيد لم تتعرف عليه حتى الآن. بعد تقييم الوضع رأى ليام أن الأمر ليس صعب التصديق كما ظن من قبل، إذ سبق أن تم تصوير فيلمين من رواياته في اسكتلندا لكن ليس في كيلفويل. هو واثق من هذا.

- ليام جايمسون يعيش هنا. أليس كذلك؟

تمنت روزا أن يقول لها شيئاً بدلاً من البقاء ساكتاً يحدق بها بعينيه الخضراوين. بدا لها كأن عينيه تستطيعان النفاذ حتى أعماق روحها، فتحركت بارتباك تحت نظره. ربما هو غير مدرك لذلك، لكن عينيه جعلتا حرارة جسدها ترتفع بشكل ملحوظ.

قال لها أخيراً بعد أن تمكنت من إبعاد ناظريها عن ناظريه: «نعم... نعم، إنه يعيش هنا. لكن من المستحيل أن يكون قد عرض على أختك اختباراً للتمثيل، إذ لا علاقة له مطلقاً بإنتاج الأفلام. وإن كانت قد أخبرتك بغير ذلك فهي مخطئة».

- وما أدراك أنت؟ هل تعرفه معرفة شخصية؟

بالرغم من أن روزا كانت مستعدة لتصديق كلامه شعرت بالفضول لتتأكد من الموضوع.

توقع ليام سؤالها فقال: «أنا أعرف الكثير عنه. إنه انعزالي قليلاً،

وبحسب علمي فهو لم يقم يوماً بزيارة غلاستونباري. يبدو أن أختك لاتزال شابة صغيرة، أما جايمسون فهو في الثانية والأربعين من عمره».

إن كان يعتقد أنها قد تتوقع سنه أيضاً فهو مخطئ!

- في الثانية والأربعين؟ أهو كبير السن إلى هذ الدرجة؟

تمتم ليام وهو غير قادر على إخفاء سخطه: «هو ليس كبيراً جداً. كم يبلغ عمر أختك؟».

- إنها في الثامنة عشرة من عمرها. هل تظن أن جايمسون يحب الفتيات الصغيرات؟

قال ليام بحدة: «إنه ليس رجلاً فاسداً».

ثم خفف حدة صوته وتابع يقول: «دعينا نواجه الأمر. أنت لا تملكين أي دليل على أن أختك قد رحلت مع جايمسون».

أخرجت روزا نفساً عميقاً، ثم قالت: «أعلم ذلك. لكن أين يعقل أن تكون؟».

مررت لسانها فوق شفتيها الناعمتين لتبللهما، وتابعت: «على أي حال، إن أعطيتني العنوان سأتمكن من رؤية السيد جايمسون والتأكد منه إن كان يملك الجواب».

يجب على ليام أن يوقفها هنا. عليه أن يشرح لها من يكون وكيف يعرف أن جايمسون لم يزر غلاستونباري يوماً، لكنه شعر بالجبن ولم يستطع. لقد تمادى في الحديث، ولم يعد من السهل الاعتراف بأنه هو الشخص الذي تبحث عنه. كما أن حبه للخصوصية جعله يقع ضحية لخداعه.

- اسمعي! أعتقد أنك تضيعين وقتك. بحسب علمي، لم يشارك جايمسون أبداً في أي مهرجان للبوب من قبل.

علقت روزا بفضول: «أنت تعرف الكثير عنه. هل أنت واثق أنك لست صديقاً له؟».

قال ليام وهو يتمنى لو أنه لم يبدأ بهذه اللعبة: «نعم، أنا واثق. لكنني أعيش هنا، وهذا المكان صغير جداً».

www.elromancia.com

قالت روزا بحزن: «لا يبدو صغيراً جداً بالنسبة لي. إن أردت الحقيقة، أنا لست متحمسة للقاء ذلك الرجل، فهو يكتب أشياء مخيفة عن الأشباح والذئاب و. . .».

أكمل ليام الجملة عنها من دون أن يفكر: «مصاصي الدماء».

تمتمت روزا وقد برهنت أنها لم تكن تستمع إليه: «. . . وأشياء كهذه. لهذا السبب على الأرجح تشعر صوفي بالاعجاب به. فقد قرأت كل ما كتبه».

- أحقاً؟

لم يستطع ليام منع نفسه من الشعور ببعض الاعتزاز. بالرغم مما يقوله له على الدوام وكلاؤه وناشرو كتبه بأنه كاتب جيد فهو لم يصدق يوماً ذلك.

تنهدت روزا مجدداً وقالت: «آه! نعم، صوفي مجنونة بالكتب والتلفزيون والأفلام. تريد أن تصبح ممثلة. إن كان لذلك الرجل أي اتصال بها فستغدو كاللعبة بين يديه».

- لكنه لم يلتق بها. أنت لا تعتقدين أنه فعل. أليس كذلك؟

قالت روزا بصدق: «ربما لا. لكنني أريد أن أسمع ذلك منه».

قطب ليام حاجبيه وحرك قدمه فوق حجر صغير. أدرك أن هناك احتمالاً بأن يأتي أحدهم في أي لحظة ليتكلم معه ويفضحه، عندئذٍ لن يبقى أمامه خيار إلا أن يكشف شخصيته الحقيقية أمامها.

- اسمعي. . . ! لمَ لا تركبين السفينة وتعودين إلى المنزل؟ إن أرادت أختك إخبارك بمكانها فستفعل. وحتى ذلك الحين من الأفضل لك أن تكفي عن اتهام الناس بأشياء لا يمكنك إثباتها.

- أعود إلى السفينة؟ لا أعتقد ذلك.

- حسناً! السفينة لن تعود إلا يوم الخميس كما قلت لك.

حاولت روزا ألا تظهر اليأس الذي تشعر به: «آه. . . حسناً! ليس أمامي أي خيار آخر أفكر به. وليام جايمسون هو الوحيد الذي قد يوصلني إلى شيء ما».

أخرج ليام نفساً عميقاً وقال: «حسناً، حسناً! إن كان هذا قرارك الأخير. سآخذك معي».

- إلى أين ستأخذني؟

- إلى قصر كيلفويل. تريدين الذهاب إلى هناك. أليس كذلك؟

- حسناً. . . ! نعم. لكن هل تعتقد أن السيد جايمسون سيوافق على مقابلتي؟

قال ليام بنبرة جافة: «سأحرص على حصول ذلك. هيا بنا».

اعترضت روزا قائلة: «لكنني حتى لا أعرف من تكون».

فكرة ركوبها السيارة مع شخص غريب لا تعرفه بدت الآن أكثر أهمية مما كانت عليه في السابق بالنسبة لروزا.

تمتم ليام بفظاظة: «أنا. . . لوثر كيليان».

انتظر ليام أن تتعرف روزا على اسم الشخصية الرئيسية في روايته الأخيرة، لكنها لم تبدِ أي ردة فعل. يبدو أن أختها تقرأ كتبه كلها أما هي فبالتأكيد لا تفعل.

٣ ـ خدعة بيضاء

ترددت روزا وقالت: «هـمم... هل القصر بعيد جداً؟».

شعرت بتنهيدة الرجل الواقف إلى جانبها ما يدل على نفاد صبره.

- بعيد جداً إن كنت تفكرين بالذهاب مشياً. هناك سيارة أجرة يملكها ماك أليستر بالطبع، لكنه يعمل عليها بدوام جزئي فقط عند الحاجة. كما أنني لا أنصحك بالاتكال على سيارته.

نظرت روزا نحو حقيبتها المعلقة فوق كتفها، وبدت لها أثقل مما كانت عليه بالأمس عندما جمعت فيها أغراضها. قالت له: «حسناً! شكراً لك. إن كان المكان على طريقك طبعاً».

أمسك بحقيبتها وفتح باب السيارة. وضعها على المقعد الخلفي ثم أشار لروزا بالجلوس في المقعد الأمامي. بدأت قدمه تؤلمه بسبب الوقوف لمدة طويلة، ولم يعد يستطيع الانتظار حتى يريح جسده.

سألته روزا بعد أن أصبح خلف المقود: «لم تخبرني... هل المكان بعيد؟».

هزّ ليام كتفيه وقال: «الجزيرة ليست كبيرة. لا تقلقي! لن يأخذ الطريق مدة طويلة».

تمنت روزا أن يكون كلامه صحيحاً، لكن الجزيرة بدت أكبر بكثير مما تخيلت. لاحظت ذلك بينما توجهت السيارة عبر التلال نحو البلدة. دخلا إلى سهلٍ واسع يمتد أمامهما وقد بدا أخضر اللون، ولا يزال على طبيعته فيما تتخلله بضع بحيرات يلتمع سطحها تحت أشعة الشمس.

إلى اليسار ظهرت الجبال التي رأتها من بعيد وهي لاتزال في المرسى. لم

تكن قمم تلك الجبال ظاهرة بسبب الضباب الذي يغطيها، لكن الأماكن المنخفضة كانت تتموج ما بين اللونين الرمادي والبنفسجي حيث انتشرت نباتات الخلنج بين الصخور، كما توزعت أشجار التنوب هنا وهناك.

أشار ليام نحو الأرض المنبسطة بجانب الطريق وقال: «هذه مستنقعات كيلفويل. لا يخدعنّك مظهرها الجميل، فهي بمعظمها مستنقعات سبخة. حتى الماشية لديها حسٌّ مرهف يمنعها من أن ترعى في هذا المكان».

- هل أنت مزارع سيد كيليان؟

مزارع؟! ظهرت على شفتي ليام ابتسامة ملتوية، ثم أجابها من دون أن ينفي أو يؤكد كلامها قائلاً: «أنا أملك بعض الأراضي».

تابع يقول ليبعدها عن الموضوع: «تصبح الجزيرة في الجهة الأخرى من السهل أقل عدائية».

سألته روزا بسخرية: «هل تقوم هذه المستنقعات السبخة بابتلاع الناس الذين يدخلون إلى السهل؟».

لاحظ ليام نظراتها الساخرة فأجابها: «فقط في كتب ليام جايمسون على ما أعتقد».

- يبدو هذا الرجل غريب الأطوار. أعتقد أنه بسكنه هنا يستطيع التصرف تماماً كما يفكر.

قال ليام بانزعاج: «إنه كاتب، بحق السماء! هو يكتب عن الوحوش، لكن ذلك لا يعني أنه واحد منها».

- أعتقد ذلك.

فكرت روزا أنها بدأت تسمح للمكان المنعزل بخلق الخوف فيها. ارتفع سرب من الطيور في الفضاء وقد أصابها الذعر من صوت السيارة، فأجفلت وأصدرت صوتاً غير طبيعي ما جعل ليام يلتفت نحوها ويرمقها بنظرة فضولية أخرى.

- هل من خطب؟

هزّت روزا كتفيها وأجابته كاذبة: «كنت فقط أفكر بما قلته لي. أعتقد

www.elromancia.com

أنني أوافق معك. من غير المنطقي أن يفكر جايمسون بإحضار صوفي إلى هنا».

قال ليام بحذر: «أحقاً؟».

- نعم. أعني... لا أعتقد أن رجلاً يعيش في مكان كهذا قد يقصد مهرجاناً للبوب. أليس كذلك؟

- تذكرت أنني قلت لك كلاماً مماثلاً منذ نصف ساعة.

- آه! نعم، لقد فعلت. أنا آسفة أعتقد أنه كان علي أن أستمع إليك.

هزّ ليام رأسه. لم يعلم ما الذي توقعت منه أن يقوله. لكن إن كانت تأمل أن يعود أدراجه بالسيارة كي يعيدها إلى المرفأ فهي مخطئة. إنه متعب، كما أنه قاد السيارة لمسافة خمس مئة ميل خلال رحلته. إن كانت تريد العودة فسيعيدها سام، أما الآن فهو يحتاج إلى تناول الفطور وأخذ حمام طويل ثم الاستلقاء في سريره. وليس من الضروري أن يقوم بهذه المهمات بذلك الترتيب تماماً.

هذا ما قاله لنفسه. في الواقع أحسّ ليام أنه غير قادر على التخلي عنها بسبب فضوله. شعر بالأسف من أجلها، وفكر أنها تكبدت مشقة القيام بهذه الرحلة الطويلة الغامضة وتحملت الصعوبات، لذا من الطبيعي أن تشعر بالحزن الشديد حين تكتشف أنه يخدعها.

بالرغم من ذلك شعر ليام بالدهشة من الطريقة التي يفكر بها. منزله هو الملجأ الذي يشعر أن بإمكانه الاختباء فيه والهرب من حياته السريعة في لندن. ما الذي يفعله بحق السماء عبر إحضار فتاة غريبة إلى منزله؟ إنها ليست مراهقة بحق السماء! إنها راشدة بما يكفي للاعتناء بنفسها.

فجأة قالت روزا: «على أي حال، لاأزال مصرة على التحدث إليه لربما يعرف شيئاً عنها. أعني، إن كانوا يصورون فيلماً من إحدى رواياته فسيكون على علم بالمكان الذي يتم فيه التصوير. ألا تعتقد ذلك؟».

شد ليام أصابعه حول المقود، لِمَ لم يخبرها من يكون؟ لِمَ لم يعترف بأنه أخفى شخصيته في البداية لاعتقاده أن لديها نوايا خفيةً تجاهه؟ قد لا

تصدقه، لكن ذلك أفضل من الشعور بالاحتيال في كل مرة تذكر فيها اسمه.

- اسمعي آنسة...!

- تشانتري. روزا تشانتري.

- نعم. آنسة تشانتري، أعتقد أن هناك أمراً عليك...

لكن قبل أن يكمل ليام جملته، قاطعته قائلة بفزع: «آه... يا إلهي!».

اعتقد لبرهة أنها اكتشفت هويته، لكنها استدارت في اللحظة التالية نحو المقعد الخلفي وأحضرت حقيبتها لتخرج هاتفها الخلوي فيما تابعت تقول: «وعدت أمي أن أتصل بها حالما أصل إلى الجزيرة. أعذرني لدقيقة. علي أن أخبرها أنني بخير قبل أن تظن أنها فقدت ابنتيها لا إحداهما فقط».

- نعم، لكن...

ما إن فتح فمه ليخبرها أن الهواتف الخلوية لا تعمل على الجزيرة حتى سمع صرخة ذعر منها.

- تباً! لابد أن بطارية الهاتف فرغت.

نظرت نحو الهاتف كأنه هو السبب في تلك المشكلة، ثم عبست قبل أن تكمل قائلة: «هذا مضحك. يبدو كأنه لا يوجد إرسال».

- هذا لأنه ليس لدينا هوائي لالتقاط إشارات الهاتف الخلوي في كيلفويل. كان المكان خالياً من السكان لسنوات طويلة وبالرغم من أن الأحوال تغيرت خلال السنوات الماضية إلا أننا نفضل عدم إدخال كل التكنولوجيا الحديثة التابعة للقرن الواحد والعشرين إلى الجزيرة.

- أتعني أنني لن أستطيع الاتصال بأمي؟

- لا. لكن هناك هواتف ثابتة.

- هل تعتقد أن جايمسون سيسمح لي بإجراء اتصال من القصر؟

- أنا متأكد أنه سيفعل.

قال ليام ذلك وهو مدرك أنه عاد للاختباء وراء تلك الشخصية التي خلقها. تابع يقول: «لا تظني أن الجزيرة مكان متخلف أو رجعي، فهي مرغوبة جداً حتى في زمن الحياة العصرية».

قطبت روزا حاجبيها الذين بدا لونهما داكناً أكثر من لون شعرها، ثم قالت: «ألهذا السبب أتيت أنت إلى هنا؟ ألكي تهرب من الحياة السريعة؟».

- بإمكانك قول هذا.

- وهل أحببت العيش هنا؟ ألا تشعر بالضجر؟

- أنا لا أشعر مطلقاً بالضجر. ماذا عنك؟

- لا أملك الوقت لأشعر بالضجر. أنا معلمة، وعملي يبقيني مشغولة على الدوام.

- آه!

هذا يفسر الكثير؛ تمكنها من المجيء في منتصف شهر آب، وذلك التأنق والترتيب اللذان يظهران عليها.

أصبح السهل وراءهما الآن، وبدآ بالهبوط نحو وادٍ صغير. أشار إلى الأمام وقال: «هذا هو القصر. ما رأيك؟».

حبست روزا أنفاسها، ثم قالت: «إنه رائع!».

إنه بالفعل رائع. يقوم بناء القصر المربع الشكل وسط الأراضي الواسعة، وهو يطل على البحر، وقد بدت جدرانه الرمادية حامية بسبب أشعة الشمس.

أخذت روزا نفساً عميقاً، لم تتوقع مطلقاً أن يكون بمثل هذه الروعة. تابعت تقول: «إنه ملفت جداً للنظر. لكن كيف يمكن لأي شخص أن يعيش في مكان كهذا؟ لابد من وجود مئات الغرف فيه».

قال ليام من دون تفكير: «ثلاثة وخمسون غرفة، في الواقع».

ثم أدرك ما يقول فتابع: «أو ما يقارب ذلك حسب ما أسمع».

هزت روزا رأسها: «ثلاثة وخمسون؟ لابد أنه غني جداً».

حاول ليام كبت رغبته في الدفاع عن نفسه: «بعض هذه الغرف هي مجرد ممرات تؤدي إلى غرف أخرى. أنا متأكد أنه لا يستخدمها كلها».

- أعتقد ذلك. هل هو متزوج؟

- لا.

ترددليام في الإجابة، لكن في النهاية هذه معلومات قد يعرفها عنه أي شخص بمجرد قراءة لمحة عن حياته الموجودة على أغلفة كتبه الخلفية.

- حسناً! هل يعيش بمفرده؟ ألديه صديقة أو صديق حميم؟ لا يمكنك أن تعرف هذه الأيام.

- هو ليس شاذاً! لديه موظفون لإدارة المنزل، لذا بالكاد يبقى بمفرده.

- في مطلق الأحوال، أراهن أنه يدفع أموالاً طائلة لموظفيه كي يرضوا بالبقاء في هذا المكان.

أغلق ليام فمه ولم يجبها. بإمكانه أن يخبرها أن معظم موظفيه هم لاجئون من لندن مثله تماماً. إنه يوظف السكان المحليين حين يستطيع، لكنهم عادة يفضلون عملاً بدوام جزئي كي يبقى أمامهم الوقت للاهتمام بنشاطاتهم الخاصة. فالسكان الجبليون هم أشخاص مستقلون، يفضلون صيد السمك والزراعة على العمل داخل المنازل.

إنهم يقتربون من القصر برفقة الماعز والقطعان التي تنتشر في المزارع. رأت روزا منازل الرعاة المنتشرة في التلال، كما رأت مزارع حضارية أكثر ذات جدران بيضاء نظيفة ومواقد مشتعلة. رأت أيضاً جدولاً وفكرت: لابد أنه ينبع من قمة الجبل وينساب بين الصخور نحو البحر. أما من الجهة الأخرى فرأت شاطئ البحر والرمال النظيفة التي تغطيه، وقد بدا خالياً تماماً.

علمت روزا أن من لا يرى هذا المنظر في اسكتلندا لن يصدق ما يقال عن جماله. بدا البحر هادئاً أخضر اللون في بعض الأماكن تماماً كلون عيني لوثر كيليان. إنه بالغ الجاذبية بالرغم من أنه بالتأكيد بارد كالجليد.

كلما اقتربا من القصر كلما بدا حجمه أكبر. وبالرغم من أعمال الترميم التي يشهدها إلا أنه تم الحفاظ على سحر المبنى القديم وتاريخه، عبرت السيارة فوق جسر خشبي لاشك أنه كان خندقاً في الماضي، ثم وصلت إلى الباحة الأمامية بجانب الأبواب المدعمة بالأخشاب.

فتح أحد الأبواب وظهر رجل برفقة مجموعة من الكلاب تحت أشعة

الشمس. وقفت الكلاب وهي عبارة عن كلبين للصيد ذهبيي اللون وكلب صغير قصير القوام عند الدرج لترحب بهما وهي تهز ذيلها بحماس.

مع صوت النباح الذي كانت تصدره الكلاب فتح ليام باب السيارة ووقف على قدميه. مرة جديدة آلمته قدمه فأطلق شتيمة بسبب ضعفها، لأنها أفسدت عليه إحدى مصادر سعادته في الحياة. لطالما كان ليام يستمتع بالقيادة ويملك مجموعة واسعة من السيارات الباهظة الثمن. وكان يفضل تلك السيارات على المروحية التي أصر وكيله على شرائها، والتي وضعها بخدمة الإسعاف المحلي أكثر مما كان يستخدمها لنفسه.

حاول ليام غض النظر عن ألمه، فخرج من السيارة واتجه نحو سام دفلين. إنه الرجل الذي يدير له قصر كيلفويل بشكل ممتاز وعملي. بدأ سام يقول: «ليام..».

لكنه صمت على الفور حين رفع ليام إصبعه ووضعه فوق فمه كتحذيرٍ له. تابع سام بحذر: «من الجيد رؤيتك من جديد. هل من خطب؟».

التفت ليام إلى الوراء وعندها رأى سام روزا وهي تخرج من السيارة فسأله بتعجب: «هل لدينا زوار؟».

يعرف سام أكثر من أي شخص آخر أن ليام لا يحضر الغرباء أبداً إلى كيلفويل.

أجاب ليام بصوت منخفض بعد أن صافح سام: «نعم. إنها هنا لتسأل ليام جايمسون عن مكان أختها».

- ماذا؟ لكن أنت...

- هي لا تعرف من أكون. إنها قصة طويلة، لكن الوقت غير مناسب الآن لأخبرك بها. فقط جاريني بما أفعله. هل هذا مفهوم؟ أنا أنوي إخبارها من أكون لكن... ليس الآن.

عبس سام وقال: «لكن... لمَ أحضرتها إلى هنا؟».

توقف عن الكلام حين أصبحت روزا خارج السيارة وتوجهت نحوهما. أصبحت قريبة جداً وأصبح بإمكانها أن تسمع حديثهما. حاول سام

استجماع قواه وقال: «أهلاً بك في كيلفويل، آنستي».

- هذا سام دفلين، مساعد جايمسون. سام إنها الآنسة تشانتري، روزا تشانتري. أليس كذلك؟

نظر ليام نحوها ليتأكد أنه لم يخطئ في لفظ اسمها، ثم تابع: «أتمنى أن تكون السيدة ويلسون لطيفة فتقوم بتقديم الفطور للآنسة تشانتري».

وافق سام بجفاء: «أنا واثق أنها ستفعل».

لكن روزا لم تشأ فرض نفسها عليهم.

- في الواقع، لو أستطيع فقط أن أتكلم قليلاً مع السيد جايمسون...

- السيد جايمسون مشغول الآن. فقط تعالي معي. سأريك أين يمكنك انتظاره.

- آه! لكن... هل تعتقد أنه سيقابلني؟

وجهت روزا كلامها لسام رغم أن ليام أكد لها أنه سيتولى مساعدتها.

نظر سام نحو مستخدمه غير مدرك لما سيقوله: «أعتقد أنه... سيفعل».

قال ذلك بعد أن رأى إيماءة إيجابية من ليام. تابع يقول: «لمَ لا تلحقين بي؟».

ترددت روزا، ثم استدارت نحو الرجل الذي أقلها وعلى وجهها ابتسامة شكر. قالت: «شكراً لأنك أقليتني. وداعاً سيد كيليان».

أحنى ليام رأسه وهو يدرك أن سام يحدق به.

- إنه لمن دواعي سروري.

أدرك أنه فعلاً يعني ما يقول. أدار ظهره بينما أرشدها سام إلى القصر. لن تكون سعيدة حين تكتشف من هو فعلاً.

في هذه الأثناء كانت روزا تختبر مشاعر الأسف لأنها لن تستطيع رؤية لوثر كيليان من جديد. كان لطيفاً جداً معها بالرغم من عدم إظهارها الامتنان له. تمنت لو أنها سألته أين يعيش، ففي النهاية مهما كانت النتيجة الآن، ستبقى عالقة في هذه الجزيرة ليومين إضافيين على الأقل.

لحقت بمساعد ليام جايمسون إلى القصر. بالرغم من أنها أرادت أن

تتحدث إلى ليام في أقرب وقت ممكن وتنهي هذا الموضوع، إلا أنها شعرت بالسعادة بسبب المكان الجميل الذي يحيط بها. بدت غرفة الاستقبال التي وصلا إليها مخيفة رغم الإضاءة القوية على الجدران والنار المشتعلة في عمق الغرفة.

- نحن نستخدم هذه القاعة للاستقبال فقط، أما بقية أنحاء القصر فهي أكثر حميمية. لولا ذلك لما استطعنا إبقاء المكان دافئاً.

استطاعت روزا أن تصدق ذلك.

- هل يعيش السيد جايمسون هنا طيلة السنة؟

بدا سام متردداً جداً في انتقاء كلامه: «يغادر المنزل فقط حين يكون لديه عمل ينهيه أو أمر مسلٍ يقوم به. الآن، تعالي برفقتي أرجوك».

لدهشة روزا قطعاً قاعة الاستقبال إلى غرفة رأت فيها درجاً من الحجر يصل إلى الطابق العلوي. فهمت روزا أن الرجل سيرشدها إلى إحدى الغرف البعيدة في الطابق العلوي.

- أليس من الأسهل أن أنتظر السيد جايمسون هنا؟

أجابها سام بلطف: «لا، آنستي. أنا أسف. هذا الطابق مخصص للمطبخ وغرف التخزين. بالإضافة إلى وجود الغرف الخاصة بالعمال الدائمين».

- فهمت.

كلامه هذا أكد لروزا أن هناك أشخاصاً آخرين يسكنون هذا المنزل مع ليام ولا يعملون هنا فقط. لم يخبرها لوثر كيليان بذلك.

لم تجد أمامها بديلاً عن اللحاق به إلى الطابق العلوي وهي تدرك أنه قد يكون أحد الأبراج التي رأتها من الطريق. بدا لها من الجميل أن يضم الدرج مسطبة تطل على الشاطئ عبر نافذة خارجية.

- آه! أليس هذا رائعاً؟

توقفت روزا قليلاً بجانب النافذة وراحت تنظر إلى الخارج. كانت النافذة تطل على الباحة الأمامية للقصر، وقد ظهر الجسر الصغير الذي

قطعاه بالسيارة. كانت سيارة لوثر كيليان لاتزال هناك. التفتت نحو سام وقالت: «السيد كيليان لايزال هنا!».

- أحقاً؟

لم يبدِ سام اهتماماً بالموضوع. تذكرت روزا أن كيليان أخبرها أنه قد يتكلم بنفسه مع ليام جايمسون. ربما سيشرح له الوضع. إن كان ذلك صحيحاً فهذا أمر إضافي لتشكر كيليان عليه. قد تسأل سام قبل أن تغادر عن مكان منزل كيليان.

حين فكرت بالمغادرة تذكرت أنها لم تتصل بوالدتها بعد فقالت: «همم... هل تعتقد أن بإمكاني استخدام الهاتف فيما أنتظر السيد جايمسون؟».

هزّ سام كتفيه، ثم فتح باب إحدى الغرف التي تبين أنها مكتبة وهو يقول: «هناك هاتف هنا. تصرفي كأنك في منزلك. سأطلب من السيدة ويلسون إحضار العصير لك».

ذكرته روزا: «ستخبر السيد جايمسون أنني أنتظره. أليس كذلك؟».

استغربت روزا وجود تلك النظرة الفضولية على وجهه وهي تطلب منه ذلك.

- سأخبره. عذراً، سأنصرف الآن.

هزت روزا رأسها محاولة ألا تشعر بالقلق لأنه أغلق الباب خلفه. حسناً! لقد وصلت إلى هنا. وصلت إلى المكان الذي كانت تقصده، وإن لم تكن الظروف تماماً كما توقعت فهذا ليس ذنبها.

استدارت لتتأمل تفاصيل الغرفة بثقة شديدة. رأت طاولة ذات سطح من الغرانيت مغطاة بالأوراق بالإضافة إلى جهاز كمبيوتر محمول مع مقاعد جلدية تحيط بها.

تساءلت روزا إن كانت هذه كتب جايمسون. لكن من الواضح أن هناك العديد من الكتب، لذا يصعب أن تكون كله من مؤلفاته. اقتربت روزا من أحد الرفوف وأخرجت منها كتاباً مغلفاً بطبقة جلدية. قرأت عنوانه:

«أساطير مصاصي الدماء في القرن الخامس عشر» وسرعان ما أعادته إلى مكانه.

فكرت أنها تضيع وقتها، لابد أن السيدة تشانتري بدأت تأكل أظافرها الآن من شدة القلق، لاسيما إن حاولت الاتصال بروزا ووجدت خطها مقفلاً.

انتظرت روزا الهاتف حتى يرن فيما جلست على مقعد تحت النافذة تماماً. كانت الجدران سميكة وعتبة النافذة عريضة. إنها عريضة بما يكفي لتشكل مقعداً مريحاً. نظرت نزولاً، فتمكنت من هذه الزاوية أن ترى الحدائق الخلفية للقصر بوضوح. كما رأت دفيئتين بلاستيكيتين للزراعة.

بالرغم من ردة فعلها الأولى فقد حسدت روزا جايسون على العيش هنا. إنه مكان هادئ وينعم بالسلام. من الصعب إيجاد مكان مماثل هذه الأيام.

ردت والدتها: «روزا! أهذه أنت؟ هل وجدت صوفيا؟ أهي بخير؟».

- لم أجدها بعد. ليس هناك فريق عمل خاص بفيلم سينمائي في الجزيرة أمي. لابد أن صوفي قد اختلقت ذلك.

- آه... ! صوفي لا تفعل ذلك. إن لم تكن هناك فهذا يعني أن مارك مخطئ. اسكتلندا مكان واسع. ربما يصورون الفيلم في مكان آخر.

- لكن أين؟

- لا أعلم. هذا ما عليك أنت أن تعرفيه.

- ربما أستطيع الحصول على المزيد من المعلومات الآن بعد أن أتحدث إلى ليام جايسون نفسه.

- أتقصدين أنك لم تكلميه بعد؟

- كيف بإمكاني ذلك؟

- روزا... بحق السماء! ما الذي كنت تفعلينه؟

أجابت روزا بغضب: «كنت أحاول الوصول إلى هنا! إنها رحلة طويلة، وأنت تعرفين ذلك».

- إذاً أين أنت الآن؟ تجلسين في أحد مقاهي ماليج على ما أعتقد. من

أخبرك أنه لا يتم تصوير فيلم في الجزيرة؟

- في الواقع أنا في الجزيرة الآن أنا في قصر كيلفويل. وأنا متأكدة أن لا شيء يحدث هنا.

- إذاً، إن لم يكن جايسون هناك...

- لم أقل ذلك... ألم أخبرك للتو بأنني قد أعرف المزيد من المعلومات بعد أن أقابله؟

- إذاً، هو ليس مع فريق تصوير الفيلم؟

- لا.

حاولت روزا أن تبقى هادئة. سمعت صوت أحدهم يفتح باب المكتبة فتابعت تقول: «اسمعي أمي! علي أن أذهب الآن. سأتصل بك لاحقاً حالما أحصل على معلومات جديدة».

أقفلت روزا الخط قبل أن تتمكن أمها من إعطائها المزيد من التعليمات، ثم تحركت من مكانها تحت النافذة واستدارت لتجد لوثر كيليان يقف أمام الباب ومن الواضح أنه غيّر ملابسه. لقد استبدل القميص وسروال الجينز الذي كان يرتديهما بقميص ذات كمين طويلين أرجوانية اللون وسروالاً قطنياً. استنتجت من قطرات المياه التي لاتزال ظاهرة على شعره الداكن أنه استحم أيضاً.

علمت روزا أن فكها قد انفتح على اتساعه من دهشتها، لكنها حاولت إخفاء ذلك بقولها: «آه... مرحباً! اعتقدت أنك غادرت».

ابتسم ليام باتزان، وسألها وهو يتوقع ما يجري: «هل كل شيء بخير؟».

وضع رؤوس أصابعه في جيبيه الخلفيين، وتابع يقول: «تبدين... متفاجئة لرؤيتي».

فكرت روزا أن لا داعي لإخفاء الأمر والكذب بشأنه، فقالت: «أنا فعلاً متفاجئة. هل تكلمت مع ليام جايسون؟ هل وافق على مقابلتي؟».

قال ليام بجفاء وهو يجد الوضع أصعب مما توقع: «نعم، لقد فعل. أنا آسف روزا لأنني خيبت ظنك لكنني ليام جايسون».

نظرت روزا نحوه والذعر واضح عليها : «أنت تمزح!».

- لا.

مشى ليام نحو طاولة المكتب ليقف خلفها وقال : «لم أتعمد أن أخدعك، لكن الأمور جرت على هذا النحو».

٤ . غريبة في القصر

قال سام : «هل أنت جديّ في ما تقوله؟ هل ستسمح لها بالبقاء هنا حتى تتمكن من العودة في السفينة؟ أنت لا تعرف شيئاً عن تلك المرأة. ما الذي يؤكد لك أن ما أخبرتك به ليس مجرد خطة لتدخل إلى القصر؟».

أنهى ليام طبق البيض واللحم المقدد الذي أعدته له السيدة ويلسون وقال : «أنا لست متأكداً».

ثم حمل كوب القهوة الساخن عن الطاولة المصنوعة من خشب الصنوبر، وارتشف القليل منه. إنه الكوب الثالث الذي يشربه منذ الصباح. تنهد ليام بارتياح وتابع يقول : «لكن رداً على سؤالك الأول، فهي سترحل هذا الصباح حالما تتمكن من جمع أغراضها».

- حسناً! هذا جيد. بالكاد استطعت تحمل الموضوع حين أخبرني إديث أنها أمضت ليلة الأمس هنا. ليس من عاداتك أن تدعو الغرباء للمبيت هنا.

- أعلم ذلك.

سمع ليام الحدة في صوته، لكنه لم يكن مستعداً لسماع ما يعرفه أصلاً من سام فتابع يقول : «على أي حال، فكرت أنك لن تشعر بالارتياح إن طلبت منك إيصالها إلى البلدة ليلة أمس».

- بإمكانك دائماً أن تطلب ذلك من ماك أليستر. فهو لا يعمل كثيراً.

- حسناً! لم أفعل. ولمعلوماتك لا أظن أنها لديها نوايا خبيثة بوجودها هنا. هي لم تكن تعرف من أنا حتى أخبرتها ذلك بنفسي.

- حسناً... حسناً! لكنني دائماً أشعر بالشك حين يظهر الغرباء من

www.elromancia.com

وراء البحر. أعني... أي غبي يمكنه أن يصدق أنك ستسمح بتصوير فيلم في كيلفويل؟

- ربما صدقت أختها المراهقة ذلك؟

- لكن، لا علاقة لك بإنتاج الأفلام.

- أخبرتها بذلك.

- إذاً لِمَ أحضرتها إلى هنا؟ ألم يكن باستطاعتك إقناعها بأنك تقول الحقيقة وإعادتها من حيث أتت في الحال؟

- أرادت أن تأتي لتتكلم مباشرة مع ليام جايمسون.

هزّ سام رأسه وقال: «حصل ذلك حين تخفيت وراء شخصية لوثر كيليان. أليس كذلك؟».

- بإمكانك قول هذا. نعم.

- حسناً! لا أعلم بما كنت تفكر ليام. بحق السماء، أنت لست مراهقاً! كان عليك التصرف بشكل أفضل.

- يا إلهي! لِمَ لم تضف إلى كلامك أنني مصاب بجروح وأن لدي قدماً معطوبة؟

احمرت وجنتا سام قليلاً، وأجابه: «أنت تعرف رأيي بك، بحق السماء! بالتأكيد، لا حاجة لقول هذا».

انتظر سام ردة فعل ليام، إلّا أن هذا الأخير لم يتفوه بأي كلمة لذا تابع يقول: «لو كنت من النوع اللعوب ليام لاختلف الوضع، لكنك لست كذلك ولم تكن يوماً هكذا. أعرف بالتأكيد أن لديك بضع مغامرات لكنك لم تأت يوماً برفيقاتك إلى المنزل. ليس بعد كايلا...».

- لا تكمل سام.

بدا كما لو أن الحياة عادت إلى ليام من جديد، فأحنى ظهره قليلاً بسبب الذكرى. مرت سنوات لم يفكر فيها بكايلا ستيفن. إنها المرأة التي كان ينوي الزواج بها قبل الحادثة الكارثة التي كادت تقتله.

التقيا في حفلة غداء أعدها له ناشر كتبه بعد دخول كتابه الأول في لائحة

الكتب الأكثر مبيعاً. كانت كايلا عارضة أزياء مكافحة، ترسلها وكالتها إلى المناسبات المماثلة لتضيف بعض السحر على المناسبة. يومها بدت في المكان غير المناسب. لاحظ ليام أنها تبدو بريئة كما لو أنها مجبرة على العيش بتلك الطريقة لكسب رزقها. شعر بالأسف من أجلها تماماً كما شعر تجاه روزا تشانتري، لكنه اكتشف لاحقاً أن كايلا تضع عينيها على الفرص المناسبة.

بالرغم من أنها بقيت قريبة منه خلال فترة تواجده في المستشفى، إلا أن فكرة البقاء برفقة رجل مليء بالندوب ومن المحتمل أن يصبح مقعداً لم تعجبها. لابد أنها فكرت أن شخصاً مماثلاً سيحتاج إلى الكثير من العناية والتفهم حتى يتعافى، ولم تكن كايلا مستعدة لتقديم ذلك. بعد ستة أشهر من إعادة خاتم الخطوبة لليام تزوجت كايلا من لاعب بولو من جنوب أميركا يملك ما يكفي من المال ليجعلها تعيش في المستوى نفسه من الرفاهية التي اعتادت عليه. في الواقع لولا ليام لما أتيحت لها فرصة لقاء رجل مماثل.

شعر سام بالأسف لأنه سبب الحزن لليام. قال له هذا الأخير: «اسمع! الأمر لا يتعلق بكايلا الآن. إنه يتعلق بتقديم المساعدة إلى شخص ما. والدة روزا لا تعرف أين هي ابنتها الصغيرة، وأتوقع أن تكون قلقة جداً الآن».

- لِمَ لا تقصد مركز الشرطة؟

- ماذا ستقول لهم؟ أتقول إن ابنتها هربت مع رجل آخر وإن صديقها الحميم يشعر بالغيرة؟ سام، لا يمكن توقع ما قد يقوم به المراهقون. على الأرجح أنها ستظهر بعد بضعة أيام وتنكر كل شيء.

- إذاً لِمَ تورط نفسك في الموضوع؟

- طرحت على نفسي السؤال ذاته لكنني لا أعرف السبب. ربما لأنه تم ذكر اسمي في سياق الموضوع. بحسب ما قالته روزا فإن أختها من المعجبين كثيراً بي. ربما شعرت بالإطراء بسبب ذلك. في مطلق الأحوال، هي سترحل اليوم.

استيقظت روزا لتجد أن أشعة الشمس تملأ الغرفة. لاشك أنها كانت متعبة أكثر مما تصورت فكرياً وجسدياً، وإلا لما وافقت على قبول المساعدة

من ذلك الرجل.

اكتشافها بأن الرجل الذي اعتقدت أنه لوثر كيليان هو ليام جايمسون نفسه أفقدها توازنها وجعلها تشعر بالغضب. هو لا يملك الحق في خداعها مهما كان يائساً في الحفاظ على خصوصيته.

دفعت روزا الغطاء بعيداً عنها وأنزلت قدميها الحافيتين على الأرض، ثم مشت نحو النافذة. بدت الأرض باردة تحت قدميها، لكنها فكرت أنها لن تمل أبداً من ذلك المنظر في الخارج. ظهر أمامها منظر البحر بوضوح وأمواجه التي تتكسر فوق الصخور.

يا له من منظر رائع! بدأت الشمس تلون سطح الأمواج باللون الذهبي، إلّا أن بعض الغيوم الداكنة ظهرت في الأفق وهي تهدد بهطول الأمطار من جديد. تساءلت روزا أين ستبيت الليلة القادمة.

أدركت متأخرة أن الوقت مرّ بسرعة أكثر مما توقعت، أو ربما قامت رائحة الخبز التي تغلغلت في أنفها بتذكيرها أنها لم تأكل كثيراً ليلة أمس. التفتت لتجد صينية وضعت فوق خزانة الأدراج بجانب مدخل الغرفة. من الواضح أن أحدهم وضعها هناك قبل أن تستيقظ، أم أن هذا ما أيقظها؟

اتجهت نحو السرير من جديد كي تجلب ساعة يدها التي تركتها هناك بالأمس. أصبحت الساعة الآن التاسعة والنصف. يا إلهي! لقد نامت لأكثر من ثماني ساعات!

ترددت روزا إن كان عليها أن تغتسل وترتدي ملابسها أم تتفقد محتويات الصينية. أخيراً ربحت الصينية المبارزة، فقد حملت الصينية وتوجهت نحو المقعد الموضوع تحت النافذة.

وقع نظرها على الفور على كوب مليء بالقهوة، فشعرت بالاغراء لتبدأ به. رأت على الصينية أيضاً إبريقاً صغيراً مليئاً بالحليب وآخر بالقشدة كذلك علبة من السكر الأسمر وسلة مليئة باللفافات الساخنة. أدركت روزا أن الرائحة التي شمتها هي رائحة هذه اللفافات التي تبين لها أنها مصنوعة بالزبيب والقرفة.

هل حضّر ليام جايمسون ذلك بنفسه؟ على الأرجح أن السيدة ويلسون هي من فعلت. فكرت روزا بذلك فيما تذكرت كم بدت فظة مع مضيفها بالأمس. لكن معرفتها أنها كانت برفقة ليام جايمسون طيلة الوقت وهو ولم يخبرها بذلك جعلتها تشعر بالإهانة. حين أخبرها أنه هو الرجل الذي تنتظره شعرت كأنها لم تعد تستطيع التنفس.

قالت بغباء: «أنت... أنت ليام جايمسون؟ لا يمكنك أن تكون هو».

أزعجها جوابه المقتضب: «لِمَ لا؟».

- لأنك لا تشبه صورتك.

اعترضت روزا وهي تتذكر صورة الرجل الشاب ذي الشاربين واللحية القصيرة على الغلاف الخلفي لروايته. أما وجه هذا الرجل فقد بدا نظيفاً وذا ذقن حليق.

- حسناً! أنا آسف لتخييب أملك، لكنني أنا ليام جايمسون. أما الصورة التي تتكلمين عنها فقد التقطت لي منذ اثني عشر عاماً.

- إذا عليك أن تقوم بتجديد صورك.

هز ليام كتفيه وقال: «أعتقد أنني أخبرتك من قبل أنني أحب العزلة. أفضل ألا يعرفني الناس».

- هذا ليس عذراً!

حاولت روزا ألا تسمح لنفسها بالشعور بالخيبة. تابعت تقول: «إذاً، ماذا عن صوفي؟ هل تعرف أين هي؟».

بدا السخط واضحاً في صوته وهو يقول: «بالطبع لا! لو كنت أعرف ألا تظنين أنني كنت سأخبرك؟».

- لا أعرف بما أفكر. أنا أشعر بالارتباك، فقد أحضرتني إلى هنا تحت ادعاءات كاذبة.

غرزت روزا أظافرها في كفها.

لم يعرف ليام لما أثرت كلماتها به كثيراً، بالرغم من أن ما قالته هو ما قام به بالفعل. قال: «انتظري قليلاً. هل كنت لتصدقيني لو أخبرتك من أنا؟

قلت للتو إنني لا أشبه صورتي، ولمعلوماتك، شعرت بالأسف من أجلك. من الواضح أنك قمت برحلة لا فائدة منها، ومهما قلت لك كنت ستصرين على البقاء هنا حيث ستُحتجزين لثلاثة أيام».

رفعت روزا ذقنها حين سمعت ذلك وقالت: «لا داعي للشعور بالأسف من أجلي سيد جايمسون».

- أحقاً؟

لم يستطع ليام إلا أن يقدر شجاعتها. تابع يقول: «لو أنني أخبرتك من أنا كل ما كان بإمكانك القيام به هو حجز سرير وفطور في فندق ما والانتظار حتى صباح الخميس. ألم يساورك الشك مطلقاً في أنني ربما أكذب عليك؟».

- حسناً! لكنت سألتك عن صوفي. كان عليك أن تخبرني من أنت. من هو لوثر كيليان على أي حال؟ أهو موظف لديك؟

ظهرت ابتسامة تنم عن التسلية على وجهه، وشعرت روزا بالانزعاج من نفسها لأنها تأثرت بسحره. أجابها ليام: «يمكنك قول هذا. لوثر كيليان هو الشخصية الرئيسية في جميع رواياتي، ما يبرهن أنك لست من المعجبين بي».

- سبق وأخبرتك أن صوفي هي من تقرأ كتبك.

هزت روزا رأسها وتابعت تقول: «لابد أنك فكرت أنني غبية».

- لِمَ قد أفكر بذلك؟

أظهَر ليام بعض السخط لكن روزا لم تفهم لماذا.

- لأنني كنت غبية جداً ولم أشك بشيء. حتى عندما أصبح من الواضح أنك تعرف الكثير عن ليام جايمسون. لِمَ فعلت هذا؟ هل كنت تلعب لعبة ما؟ هل شعرت بالسعادة لأنك جعلتني أبدو غبية؟

ما الذي تفوهت به للتو؟!

أخذت روزا تنظر نحوه وهي مرتعبة من الكلام الذي قالته. عندها بالذات قرع أحدهم الباب. مرت لحظات شعرت فيها بالخوف من أن يقوم ليام بتجاهل الطارق، لكنه ما لبث أن استدار وذهب ليفتح الباب. من

جديد لاحظت روزا أنه يعاني من صعوبة في تحريك قدمه، لكنها لم تكن في وضع يسمح لها بالشفقة عليه.

انتظرت مدبرة المنزل في الخارج وهي تحمل صينية من الشاي والسندويشات، ثم سمح لها ليام بالدخول إلى الغرفة.

بدا صوته بارداً وهو يقول: «إنها السيدة ويلسون. استمتعي بفطورك، وأنا سأراك لاحقاً».

لكنه في الواقع لم يفعل. فعندما عادت السيدة ويلسون لتأخذ الصينية أخبرتها أنه ذهب ليستريح. من الواضح أنه طلب من مدبرة المنزل أن تجد لها غرفة حيث بإمكانها أن تستلقي وترتاح. هكذا أمضت روزا أربعاً وعشرين ساعة في هذا القصر حتى الآن.

لم تتوقع أن تمضي الليلة هناك. فحين أكلت ما يكفي من السندويشات وشربت كمية كافية من الشاي حملت الصينية ونزلت إلى الطابق السفلي وهي تتوقع أن ترى مضيفها. لكن الشخص الوحيد الذي رأته كان سام دفلين الذي بدا عليه السرور وهو يخبرها أن السيد جايمسون لن يستطيع التحدث إليها طيلة فترة بعد الظهر.

بطبيعة الحال، شعرت روزا أنها قد تكون السبب الذي جعل ليام يشعر بالقلق. لكن حين سألت سام كيف يمكنها العودة إلى البلدة قال لها إن ليام لا يريدها أن ترحل قبل أن يتحدث إليها.

- اقترح السيد جايمسون أن تمكثي هنا. سوف تستمتعين بقضاء بعض الوقت في القصر. بإمكاني مرافقتك للقيام بجولة في أنحائه إن أردت. إن لم ترغبي بذلك فبإمكانك أن ترتاحي في المكتبة. هناك الكثير من الكتب لتقرأيها كما أن السيدة ويلسون مستعدة لتقديم كل ما تحتاجين إليه.

وافقت روزا على الذهاب في نزهة مشياً على الأقدام لكن ليس برفقة سام. استطاعت أن تقنع ذلك الرجل الاسكتلندي القاسي أنها لن تتوه. أمضت ساعة من الوقت ممتعة وهي تتجول في الحدائق بين أزهار الصيف المشرقة، ولم يكن برفقتها سوى الكلاب.

عادت إلى القصر ولم تعرف ما الذي عليها أن تفعله الآن، فذهبت إلى المكتبة لترتاح. لم تذهب لتقرأ، فقد علمت ما نوع الكتب الموجودة فيها. لاشك أن ليام يستخدمها للأبحاث وهي ليست مستعدة للكوابيس التي قد تتعرض لها في الليل بسبب تلك الكتب.

قاطعت استراحتها السيدة ويلسون حين أتت لتعلمها أن العشاء يقدم عند الساعة السابعة مساءً في غرفة الطعام. لم تتفاجأ روزا حين نزلت إلى غرفة الطعام بعد أن غسلت وجهها وسرحت شعرها لتجد بأنها ستتناول العشاء بمفردها.

قالت السيدة ويلسون بلطف على العكس من سام دفلين: «يقترح السيد جايمسون أن تمضي الليلة هنا. يقول إنه سيقابلك في الصباح. هل يناسبك ذلك؟».

بالطبع، علمت روزا أن عليها أن ترفض، فقبول أي عرض من جايمسون هو بمثابة دين عليها، وهو أمر لا تريده بالتأكيد. لكنها علمت أيضاً أنها تدين له باعتذار، لذا بعد التفكير وافقت على البقاء.

تنهدت روزا وهي تفكر، سواء كانت تريد ذلك أم لا فقد قبلت ضيافته، وعاجلاً أم آجلاً عليها أن تقدم له الاعتذار ثم ترحل. هل يعقل أن يكون الشعور بالإحراج هو سبب ترددها أم أنها تشعر بالفضول ولا تريد الرحيل؟

ارتجفت روزا وهي الفكرة. إنه تفكير سخيف منها. ليام جايمسون لا يعني لها شيئاً، وستحرص على جعله يشعر بالسعادة لمغادرتها القصر. حسناً! كان عليه أن يخبرها بهويته الحقيقية منذ البداية، لكن هل كانت لتصدقه لو أنه فعل؟

فكرت بالأمر ملياً. عندما كانا على متن السفينة لم تخبره بسوى القليل عن السبب الذي دفعها للمجيء إلى الجزيرة، وحتى بعد أن وصلا لم ترحب أبداً بمساعدته.

الوضع لم يكن فعلاً يوحي بالثقة. اعترفت روزا أنها كانت تشعر بالكثير

من القلق للوصول إلى القصر، لذا لم تعد تفكر بشكل منطقي بما فيه الكفاية. أهذا السبب أبقى هويته مخفية عنها؟ هذا يبدو منطقياً أكثر من السبب الذي اتهمته به.

لم تعد تريد التفكير بذلك الحوار الذي دار بينهما في المكتبة. أنهت روزا تناول اللفافات وشرب القهوة ثم ذهبت لتستحم. نظرة خاطفة إلى شعرها أكدت لها أن من المستحيل أن تقابل جايمسون بهذا المظهر.

بدا الحمام جميلاً تماماً كغرفة النوم التي نامت فيها. كان المغطس محاطاً بألواح زجاجية تخفي ما يوجد خلفها، وهو يتسع لثلاثة أشخاص. أما النافذة فمصنوعة من الزجاج الصافي.

التفكير بأنه يمكن لأي شخص أن يراها وهي تستحم جعلتها تذهب مباشرة نحو النافذة. لكن هناك في الطابق الثاني من القصر بدا من المستحيل أن يراها أحد، فالمساحات الواسعة المفتوحة تحيط بالمكان، وأقرب مبنى يظهر على بعد ميل على الأقل.

خلعت روزا القميص الواسعة التي تصلح أن تكون قميصاً رجالياً، والتي أحضرتها لترتديها أثناء النوم. شعرت بالارتباك للحظة من رؤية انعكاس صورتها على المرايا حول الجدران. رأت ساقيها الطويلتين وجسدها التي تبرز عظامه وفكرت أنه لا يوحي بالجمال أبداً. حسناً! بدت بشرتها نضرة وعيناها داكنتين. لكن فمها بدا عريضاً وأنفها طويلاً جداً، وحالياً تظهر خطوط عريضة بين حاجبيها.

تنهدت روزا بفقدان صبر، ثم خطت نحو المغطس. ما همها كيف يبدو شكلها؟ ليام جايمسون لن ينجذب إليها أبداً. يا إلهي! فكرت روزا، كم بدا فاتناً حين كانت تعتقد أنه لوثر كيليان. الآن، وبعد أن عرفت من هو لم تعد تتفاجأ لما أعجبت به أختها.

شعرت روزا بالخجل من نفسها. إنها تفكر بجايمسون بينما هي لا تزال تجهل مصير أختها. عليها أن تتصل بأمها مجدداً، فهي متأكدة أن السيدة تشانتري تنتظر اتصالها. أملت أن تدرك أمها أنها ليست حرة في استخدام

هاتف ليام جايمسون ساعة تشاء، لا سيما أن الاتصال الذي تريد القيام به هو اتصال خارجي.

خرجت روزا من المغطس بعد لحظات، ولفت جسمها بسرعة بإحدى المناشف الباهظة الثمن. وبعد أن نظفت أسنانها عادت إلى غرفة النوم لترتدي ملابسها.

تفاجأت حين لاحظت اختفاء الصينية من مكانها. تذكرت أنها لم تقم بإقفال باب الحمام وأملت ألا يكون أحدهم قد رآها، لكنها ارتاحت حين فكرت أنه لا بد أن تكون السيدة ويلسون هي من أخذت الصينية. من المستحيل أن يكون ليام جايمسون قد أتى ليأخذها بنفسه.

لحسن حظ روزا أنها وجدت مجففاً للشعر على الطاولة. بدت غرفة النوم جذابة كالحمام تماماً. إنها مزيج من الطرازين القديم والحديث معاً. فالمرآة فكتورية الطراز أما خزانة الأدراج فهي ذات طراز أكثر قدماً.

استغرق تجفيف شعرها وربطه بربطة فرنسية بعض الوقت. فكرت أن السترة ذات العنق المرتفع التي ترتديها مع سروال الجينز لا تساعدها في إبراز أنوثتها، ولم يعجبها ذلك. عليها أن تبدو واثقة من نفسها أمام جايمسون مهما شعرت بعدم الأمان بداخلها.

أصبح الدرج الذي يصل إلى الطابق السفلي مألوفاً الآن، أما غرفة الطعام فهي في الطابق نفسه مع المكتبة. لكن طاولة الطعام المصنوعة من الخشب الصلب بدت خالية.

فكرت روزا إن كان عليها النزول إلى غرفة الاستقبال في الطابق الأول، لكنها شكت في إيجاد مضيفها هناك. إن كانت ستجده فسيكون هنا. تذكرت أن هناك طاولة مكتب وكمبيوتر محمول في المكتبة. ربما يؤلف جايمسون كتبه هناك.

طرقت روزا على باب المكتبة قبل أن تقرر الدخول إليها. وبالرغم من أنها حاولت أن تصغي لتسمع أي صوت في الداخل قبل فتح الباب، لكن الغرفة بدت خالية بشكل مخيف. من الغريب أن يساورها هذا الشعور، فهي

لم تشعر بأي شيء مختلف أو غريب في القصر. لكن يبدو أن مخيلتها بدأت تعمل، إذ إن من المؤكد أنه لا يوجد أحد في الداخل.

لكن هناك طريقة واحدة للتأكد من الأمر. وضعت يدها على مقبض الباب وفتحته. شعرت فجأة أنها ليست بمفردها وذلك قبل أن يتكلم أحدهم خلفها: «هل تبحثين عني؟».

سألها ليام جايمسون ذلك بصوت منخفض وكادت روح روزا تخرج من جسدها.

www.elromancia.com

٥ - دعني أرحل

قالت روزا بفم جاف: «أنا . . . نعم . . . نعم».

بدأت أنفاسها تتسارع. استدارت لتجده متكئاً على الجدران بجانب الباب الضخم، ثم رأت ابتسامته الساخرة فنسيت كل الوعود التي قطعتها على نفسها. تابعت تقول: «هل فعلت ذلك عمداً؟».

- ماذا فعلت؟

أظهر ليام نظرة براءة، لكنه رأى على وجهها أنها تعلم بأنه فعل ذلك عمداً.

اعترضت روزا وهي تضع يدها فوق صدرها حيث أخذ قلبها يدق بسرعة: «حاولت إخافتي. كدت أصاب بأزمة قلبية».

- أنا آسف.

لكنه لم يبد آسفاً فعلاً. تراجعت روزا تلقائياً حين اقترب ليفتح باب المكتبة. بدا كأنه لم يدرك أن يده مرت بالقرب منها تماماً وهو يفعل ذلك. قال لها: «تفضلي! لن أدخل قبلك».

تجمدت روزا في مكانها، لكنه بدا وكأنه لم يكترث لردة فعلها.

وشعر بالسرور حين استدارت ومشت أمامه إلى الغرفة. ما الذي يفكر به بحق السماء! شعر بالانزعاج من نفسه تماماً كما انزعجت روزا منه. إنها تتصرف كعذراء تشعر بالسخط، أما هو فيختبر ردات فعل تعتبر مثيرة للشفقة حتى في سن المراهقة.

ما خطبه بحق السماء؟ إنه بارع عادة في ردع النساء اللواتي يحاولن إغواءه، أما حين يحتاج إلى امرأة فهو يسعى لإيجاد واحدة ذات خبرة في هذا

المجال.

لكن تلك الأفكار لم تنفعه، فهو يشعر بالتسلية لرؤية ردة فعل روزا على تصرفاته. مرت سنوات لم يحاول خلالها التقرب من أي امرأة بعيداً عن حاجته الجسدية. لكن لمجرد أن روزا تعجبه فهذا ليس سبباً ليتغير. إنها بالتأكيد ستخاف وتهرب تماماً مثلما فعلت كايلا حالما ترى آثار الجروح على جسده. لكن. . . ليته يستطيع نزع الربطة عن شعرها ورؤية الخصل الحريرية تتحرك بين يديه. . .

من جديد حاول أن يتخلص من تلك الأفكار المجنونة. بالرغم من الألم الذي شعر به، صمم ألا يعطيها سبباً لاتهامه بأنه يزعجها.

أغلق ليام الباب خلفه، وألقى ظهره عليه وهو يصارع للسيطرة على التوق الشديد الذي شعر به نحوها. مشت روزا بسرعة عبر الغرفة وهي تحاول بوضوح ترك فسحة من الأمان بينهما. عندما شعرت أنها نفذت ما أرادته التفتت نحوه لتواجهه.

- كنت. . . أبحث عنك. أردت أن أشكرك.

شبكت يديها ببعضهما أمامها بطريقة وقائية.

- تشكريني؟!

لم يستطع ليام التفكير لماذا أرادت روزا أن تشكره.

- لأنك سمحت لي بالبقاء هنا ليلة أمس. لم تكن مضطراً لذلك.

ارتاح ليام قليلاً وقوم وقفته أمام الباب.

- آه. . . لا مشكلة. هل أمضيت ليلة مريحة؟

- مريحة جداً. شكراً لك.

- جيد. أنا آسف لأنني تركتك بمفردك طيلة السهرة. أعتقد أنني غفوت ولم أستيقظ إلا بعد منتصف الليل.

دخل ليام أكثر نحو الغرفة. أرادت روزا أن تقول له إن الوضع بدا ملائماً لها، لكنها لم تفعل. فهي لا تزال تتوخى الحذر منه، والتحدث بمثل تلك الحميمية يبدو أمراً حساساً.

www.elromancia.com

- لا بأس. اعتنت مدبرة المنزل بي، ونمت جيداً.

- ألم تخافي أن أتحول إلى مصاص دماء في الليل فأقوم بالاعتداء عليك؟

لم يستطع ليام منع نفسه من المزاح معها، أما روزا فاحمرت وجنتاها على الفور.

فاجأته بردها حين قالت: «خفت لفترة محدودة فقط، لكنني واثقة أن مصاصي الدماء لا يركبون السفن ويقودون السيارات في وضح النهار».

- لوثر كيليان يفعل ذلك.

رمقته روزا بنظرة تقييمية.

- لا وجود للوثر كيليان إلا في خيالك.

- أتعتقدين ذلك؟

هزت روزا رأسها وقالت: «لا تقل لي إنك تؤمن بوجود مصاصي الدماء، سيد جايمسون؟».

- آه، نعم. تم رصد أكثر من حادثة هنا في غرب أوروبا، ولو أنك ذهبت إلى نيو أورليز...

- وهو أمر لن أفعله!

أدركت روزا أنه جعلها تضيع عن الموضوع الذي أتت من أجله. عليها أن تسأله إن كانت تستطيع استخدام الهاتف مجدداً بدلاً من التحدث عن الوحوش. هزت كتفيها وقالت: «أعرف القليل عن هذه المواضيع سيد جايمسون، لكنني أتخيل أنها تشكل سوقاً واسعاً لبيع كتبك».

حبس ليام أنفاسه، ثم سألها: «هل تعتقدين أن هذا كل شيء؟».

- حسناً! لا أعرف. أنا لا أعرف شيئاً عن مصاصي الدماء.

ذكرها قائلاً: «لكنك تعرفين أنهم لا يخرجون في ضوء النهار».

تنهدت روزا وقالت: «الجميع يعرف هذا. ماعدا لوثر كيليان على ما يبدو».

- لكن لوثر هو نصف بشري. كانت والدته ساحرة قبل أن تلتقي بوالده.

لم تستطع روزا منع ظهور ابتسامة على وجهها. ثم قالت: «وقد حولها إلى مصاصة دماء كما أظن. أليس كذلك؟».

- يحوّل مصاصو الدماء ضحاياهم على الدوام.

اقترب ليام منها كثيراً ثم قال: «هل تريدين أن أريك كيف يحصل ذلك؟».

تراجعت روزا إلى الخلف، ولم تعد تفهم إن كان ليام يمازحها أم لا. قالت: «أنا أعرف كيف يتم ذلك سيد جايمسون. أرجوك...».

رفعت يدها أمامها وتابعت: «... أنا لست إحدى شخصيات كتابك».

أجابها بجفاء: «لا. لكن من الواضح أنك لست من المؤمنين بذلك أيضاً».

أدرك أنه يخاطر في تحويل علاقتهما نحو منعطف لا يريده. توجه ليقف خلف مكتبه بينما أخذت روزا نفساً عميقاً لشعورها بالارتياح مثله تماماً.

تنهدت روزا، فهي لا تريد أن تهاجمه.

- المؤمنون بماذا؟

اتكأ ليام على لوح الغرانيت فوق طاولة المكتب.

قال بعدم اهتمام وهو يشبك ذراعيه فوق صدره: «القوى الخارقة للطبيعة. ما الذي تكلمت عنه ونحن في طريقنا إلى هنا؟ الأشباح والذئاب.... على فكرة، نسمي هذه المخلوقات «المتحولة». إنها المخلوقات التي تتحول في الليل».

- وهل أنت أحدها؟

- آه، بالتأكيد! كل من واجه الشر في أسوأ مظاهره عليه أن يكون كذلك.

- هل تقول إنك فعلت؟

آه... نعم!

ظنّ ليام للحظات أنه قال تلك الكلمات بصوت مرتفع، لكن النظرة

التي ظهرت على وجهها أعلمته أنه لم يفعل. حمداً لله على ذلك!

- أعتقد أننا كلنا نواجه الشر بطريقة أو بأخرى.

هو لا ينوي مناقشة الحادثة التي حصلت له معها. شعر أنه تخطى الحدود كثيراً فعاد ليتكلم بشكل عام قائلاً: «لوثر فعل بالتأكيد».

- آه! لوثر هو مجرد إحدى شخصيات كتابك.

- الشخصية الرئيسية. يمكنك مناداته البطل، فهو يقتل لكن نواياه دائماً طيبة.

- أليس ذلك تناقضاً. كيف يمكن لأي كان أن يكسب رزقه من قتل الناس ويعتبر طيباً؟

هزّ ليام كتفيه، وأثناء ذلك لمحت روزا شيئاً يلمع حول رقبته. أهو تلون في بشرته منذ الولادة أم ندبة إثر جرح ما. شعرت روزا بجفاف في فمها. بدا لها كأن أحدهم عضه بأسنانه.

يا إلهي!

قال ليام محاولاً إبعاد انتباهها عن تلك الندوب: «أعتقد أن ذلك يعتمد على تعريفك لكلمتي: الطيبة والشر. أليس العمل على تحسين مستوى البشر في هذا العالم أمر يستحق القليل من التقدير؟».

عانت روزا كي تحافظ على موضوعيتها. فقالت: «وهل هذه هي المواضيع التي تطرحها في كتبك؟ بضع... بضع مصاصي دماء يتصيدون الناس كي يجعلوا الأرض مكاناً أفضل؟».

- مكاناً أكثر أماناً. لا تنتقدي الأمر، فأنت لا تعرفين أبداً كيف يشعر الشخص حين يواجه الشر.

بدت كأنها تشك بشيء ما وهي تسأله: «وهل تعرف أنت؟».

فضّل ليام أن يصمت ولا يخبرها بما حدث معه بالضبط. تابعت روزا تقول: «هيا سيد جايمسون. كلانا يعرف أنك تعيش حياة ساحرة».

شعر ليام أن عليه الامساك بأصابع يديه تحت إبطيه كي لا يقوم بتمزيق قميصه ليريها ما فعله الشر به. علّق قائلا: «ربما. لكنني لم أكن أعيش في

اسكتلندا طيلة حياتي آنسة تشانتري».

- أعلم. قرأت عنك على الانترنت. ألم تكن تعمل في البورصة أو ما شابه؟

- كان سوقاً مصرفياً في الواقع.

- أياً يكن.

هزت روزا كتفيها وهي تشعر بالسعادة للعودة إلى الحديث عن الواقع. تابعت تقول: «أعتقد أنك كنت تقبض أجراً معتبراً، ثم جنيت الكثيرمن المال بعد نشر روايتك الأولى، بعدئذٍ اشتريت هذا القصر. لا تبدو ظروفك صعبة».

دفع ليام نفسه ليقف على قدميه، ثم قال: «ان كان هذا ما تريدين اعتقاده».

ثم أمسك ببعض الأوراق عن طاولة المكتب وتابع قائلاً: «ما يذكرني بأن لدي عملاً علي إنجازه».

شعرت روزا بالخجل، لأنها بدت متطفلة حين تكلمت عن طريقة عيشه. قالت وهي تخطو خطوة كبيرة نحوه: «اسمع! أعترف أنني لا أعرف شيئاً عنك، و... مادمت تقول إنك تعرف ما تعنيه مواجهة الشر الحقيقي فأنا أصدقك. لكن...».

قال ليام بحدة وهو يتحرك في مكانه: «لكنك لا تصدقينني. أنت تسخرين مني، وهذا لا يعجبني. أنا لا أحتاج إلى اقتناعك على أي حال».

أدركت روزا بارتباك أن المسافة بينهما أصبحت قريبة جداً. رطبت شفتيها الجافتين وقالت: «أنا أحاول أن أتصرف بتهذيب. لست مذنبة إن كنت حساساً جداً تجاه صحة مواضيع كتبك».

- حساس تجاه صحة المواضيع؟ أنت لم تفهمي حتى ما الذي أتحدث عنه.

أخذ ليام نفساً عميقاً وحاول أن يتكلم بشكل طبيعي: «دعينا نقول إنني أعرف بعض المعلومات عن الشر. لكنني أفضل عدم التكلم بالموضوع».

رفعت روزا كتفيها وقالت: «لم أكن أعلم ذلك».

نظرة الشفقة التي ظهرت في عينيها لم تعجب ليام فقال: «انسي الأمر، فقد نسيته أنا».

ترددت روزا قليلاً، ثم وضعت يدها فوق كم قميصه وقالت: «لم أقصد أن أقول إن مواضيع كتبك لا تصدق. أنا آسفة ان كنت قد هاجمتك».

هاجمتني؟!

أخرج ليام نفساً من صدره. بالرغم من أنه يرتدي قميصاً سميكةً دافئةً إلا أنه تمكن من الإحساس بلمسة أصابعها فوق بشرته.

قال وهو يحاول التركيز على أي شيء إلا عطرها الأنثوي: «الأمر ليس مهماً».

رفع رأسه ونظر إلى عينيها البنيتين، وشعر كأنه يغرق في أعماقهما.

بالكاد استطاع أن يفهم ما يفعله إذ رفع يده ومرر أصابعه فوق شفتيها. شعرت روزا وكأنها مشلولة تماماً بتصرفه. لم تتوقع أن يسبب تصرف بريء منها ردة فعل كهذه لديه. أصبح جسدها كله مغموراً بالحرارة وراحت ترتجف. شعرت بحضور ليام القوي أكثر من أي وقت مضى. أتراها تخدع نفسها؟ أم أنها شعرت فعلاً بالانجذاب إليه منذ البداية؟

رطبت شفتيها من جديد. سمعته يأخذ نفساً عميقاً وتساءلت بما كان يفكر. يا إلهي! لم يكن من المفترض أن يحدث هذا. لكنها علمت أن كولين لم يجعلها تشعر بشعور مماثل من قبل.

حين تكلم ليام بدا صوته خشناً ولم يكن عليه أن يفعل فقد قال باختصار: «أنا آسف».

الآن أصبح دور روزا كي تتنشق القليل من الهواء. نظرت نحو الهاتف الموضوع على الطاولة خلفه وهي تقول: «لا يهم. هـمم...».

عليها أن تهدأ.

- كنت أتساءل إن...

لكن قبل أن تكمل كلامها قال ليام وهو يرجع خصل شعره الدكنة إلى

الخلف: «بل يهم. لاشك أنك تظنين أنني يائس للحصول على امرأة».

رأى ليام كيف أثّر كلامه بها حتى قبل أن ينهيه. لم تنجح كل المحاولات في إقناع نفسه أنه لم يتورط عاطفياً بعد. أدرك متأخراً أنها قد تظن أن الكلام الذي قاله ينطبق عليها أيضاً، لذا لم يتفاجأ حين ابتعدت عنه.

كتفت روزا يديها فوق جسدها النحيف، وقالت: «أنا واثقة أنك لست كما تقول. وأنا لست يائسة للحصول على رجل أيضاً».

ظهرت تكشيرة على وجه ليام. ألم تدرك أنه لم يكن يتهمها؟ من الواضح أنها لم تدرك ذلك. الآن بات عليه أن يصحح الموقف الذي وضع نفسه فيه.

قال بنبرة بدت مقنعة: «اسمعي! أنا لم أقل ذلك كي أهينك، بل على العكس فأنا لا أريدك أن تظني أنني سآخذ منك ثمن استضافتي لك بتلك الطريقة».

رمقته روزا بنظرات تنم عن عدم التصديق، ثم قالت: «نعرف كلانا ماتعنيه سيد جايمسون. أنا لست غبية. لا داعي لأن تخبرني أنني لست من النوع المفضل لديك من النساء».

شعر ليام بالسخط بالرغم من الصوت الذي كان يحذره من متابعة الحديث، فقد استفزه ما سمعه منها. من تظن نفسها كي تحكم عليه بهذا الشكل؟ إنها لا تعرفه، ولا تعرف شيئاً عنه وعن ذوقه في النساء. كما أنها تحاول أن تُظهر بأنه مجرد رجل سخيف لا يفكر سوى في إقامة علاقة مع المرأة التي يصادفها.

لم يعد يهمه الآن إن كان فعلاً يفكر بذلك أم لا. قال بعدم رضى: «كوني حذرة آنسة تشانتري. سأظن أنك شعرت بخيبة الأمل لأنني توقفت عن ملامستك».

- كيف تجرؤ على قول هذا؟

لم تشعر روزا يوماً بالغضب كما شعرت الآن. جمعت قبضة يدها بحركة تلقائية ووجهت لكمة نحو بطن ليام، قبل أن تأخذ وقتاً كافياً حتى لتفكر بصوابية ما تفعله. لكنه لا يملك الحق في السخرية منها.

تفاجأ ليام من قوة هجومها.

- أنت بحاجة إلى التحكم بأعصابك آنسة تشانتري. ما خطبك بحق السماء؟ ما الذي قلته كي أستحق هذه الضربة؟

- تعرف تماماً ما الذي قلته سيد جايمسون.

شعرت روزا بالارتجاف في داخلها، لكنها رفضت أن تتراجع.

- أحقاً؟

حدقت روزا به وهي تتساءل كيف يمكنها أن تشعر بالانجذاب إلى رجل مثله!

- أنت معتد جداً بنفسك سيد جايمسون.

حاولت إبقاء صوتها منخفضاً بالرغم من أنها كانت لتشعر بالرضى أكثر لو أنها صرخت في وجهه. تابعت تقول: «إن كنت قد سمحت لنفسي بالتجاوب معك قليلاً فهذا لأنني شعرت بالأسف عليك. أعني... أنه ليس أمراً مسلياً أن تعيش هنا بمفردك».

السخط الذي شعر به ليام وهو يتذكر رحيل كايلا جعل الغضب يظهر واضحاً عليه. نسي أن إهانات روزا مجرد محاولة للدفاع عن النفس بسبب مهاجمته لها.

- أنت تشعرين بالمرارة أيضاً آنسة تشانتري. أليس كذلك. لا أستغرب أنك لم تتزوجي بعد. إذ لا يوجد رجل محترم يرضى بالعيش مع امرأة ذات طبع مشاكس مثلك.

شعرت روزا بالغضب الشديد. أرادت أن تصحح له كلامه وافتراضاته المهينة إلا أنها سرعان ما وجدت نفسها محاطة بذراعيه الهمجيتين. حاولت التخلص من عناقه، لكن أنفاسه الدافئة التي كادت تخنقها جعلتها تشعر بالخدر فلم تعد تستطيع فعل شيء. أخذ كلاهما أنفاساً سريعة، ودام الصراع الصامت بينهما لعدة ثوانٍ...

لكنه في الواقع لم يكن صراعاً. اعترفت روزا لنفسها بذلك بضعف. إنها تحت رحمته، وهو يعرف ذلك. أما ليام فرأى أن عينيها مليئتان بالارتباك

والأسف.

- تباً! لم يكن من المفترض حدوث هذا!

أجابته روزا فيما كادت أنفاسها تنقطع: «إذا دعني أرحل».

صممت ألّا تقع تحت تأثير عينيه الخضراوين أكثر مهما قال لها.

باقترابه منها على هذا النحو تمكنت روزا من رؤية الندوب في رقبته بشكل أوضح الآن. تساءلت ما الذي حصل معه وترك لديه تلك الندوب!

وافقها ليام على كلامها قائلاً: «نعم، أنت على حق».

لكنه راح يتأمل وجهها بدقة، وتابع يقول: «لكن... أتعلمين؟».

تحرك بالقرب منها، وشعرت أن جسده أصبح أكثر تصلباً فيما أكمل كلامه قائلاً: «أنا لا أريد ذلك. أليس هذا سيئاً؟».

شعر ليام بتقلص في معدته وهو يرى ردة فعلها. هل لديها فكرة عن الموجة الحارة التي تتقد في داخله؟ ذلك الأمر جعل رغبته في معاقبتها تتحول إلى إلحاح مجنون بجعلها تدرك ما تفوته على نفسها. شعر بارتجاف روزا بالرغم من أنها كانت تبذل قصارى جهدها لتبقى متماسكة وقادرة على السيطرة على نفسها.

- أرجوك!

لكن ليام سمع رجاءها كأنه آتٍ من مكان بعيدٍ جداً. أمسك خصرها بإحدى يديه ومرر يده الثانية بجانب عنقها. شعر بارتعادها وهي تبتعد إلى الخلف.

يا إلهي! إنها تتجاوب معه. لابد أنها لم تقم علاقة مع رجل ما منذ فترة طويلة.

تمنى لو أنه التقى بها في ظروف مختلفة. تمنى لو أنه لم يهاجمها في مسألة الزواج تلك. إنه يشعر بالانجذاب إليها مهما حاول إنكار الموضوع. إنها ليست فائقة الجمال لكنها تملك سحراً خاصاً بها أشعل الرومنسية في داخله.

حول ليام انتباهه الآن إلى وجنتيها اللتين علاهما الاحمرار، فبدأت روزا تشعر بعدم قدرة ساقيها على حمل وزن جسدها لفترة أطول. الاحساس

الذي ساورها جعلها تشعر بالدوار. فكرت بجنون أن بقاءها بالقرب منه سيجعلها بالتأكيد تشعر بدوار أكبر.

أحست بضعفها فارتبكت. ما خطبها الآن؟ تذكرت أنها لم تختبر شعوراً مماثلاً عندما كانت متزوجة من كولين، ففي حين كان هذا الأخير يشعر بالحماس والشغف كان جزء منها يبقى محايداً وموضوعياً كأنه يراقبهما من بعيد.

لكنها لا تشعر بأنها تستطيع أن تكون موضوعية مع ليام، فحين ينظر إليها على هذا النحو لا تستطيع حتى أن تفكر بشكل سليم. شعرت أنها ضعيفة وسيطرت عليها مشاعر وحاجات لم تعرف بوجودها من قبل. حالما أحنى ليام رأسه نحوها تجاوبت معه تلقائياً لتتلقى عناقه.

شعرت بأنفاسه فوق عنقها وبيديه القويتين فوق ظهرها. إلّا أن ليام تراجع فجأة فترك خصرها، ما جعلها تترنح وقد أدركت فجأة أنها كانت تلقي بثقل جسدها عليه.

بعد أن عانت روزا لتستعيد توازنها، أدار ظهره نحوها وانحنى فوق طاولة المكتب.

٦ - إغواء

إنه يدير ظهره نحوها الآن!

تمنى ليام ألا تدرك روزا سبب ابتعاده عنها. لم يكن من السهل عليه أن يبتعد، كما أن جسمه ما يزال غير موافق على القرار الذي اتخذه عقله. بعض المشاعر التي لم يحس بها منذ زمن بعيد سيطرت عليه وجعلته يشعر بالتوق إليها. لكن بالرغم من الإغواء الذي أصابه أصر عليه عقله أن يسيطر على نفسه.

تباً! ذكر نفسه أنه بغض النظر عن معرفته السطحية بروزا فهو ليس مستعداً لسماع الكلام الساخر الذي سمعه في الماضي. لكن... حين احتضنها وتنشق عطرها وشعر بجسدها النحيل يتحرك بقربه بدا من السهل عليه خداع نفسه بالتفكير بنجاح علاقتهما. تجاوبت مشاعره كلها مع روزا، وأراد أن يبقى بقربها أطول وقت ممكن كي يكتشف إن كانت فعلاً رائعة كما يتخيلها.

أدرك ليام أن أفكاره تبدو جنونية. هل يريدها أن تخرج من هنا لتخبر أصدقاءها أنه رجل متوحش؟

بالطبع، عليه في النهاية أن يستدير نحو روزا مجدداً. لولا صوت أنفاسها المتقطعة لما عرف أنها لاتزال واقفة هناك. لكنها هناك الآن، وهي تستحق بالتأكيد بعض التفسيرات، لكن ليام لم يكن واثقاً مما سيقوله.

بعد أن تمالك نفسه أدار وجهه نحوها مجدداً. لاحظ أن وجنتيها لاتزالان متوردتين ما أسبغ عليها جمالاً غير متوقع. لكنها كانت تبذل قصارى جهدها كي لا تجعله يشعر أنه جعل من نفسه أضحوكة. يا إلهي! عليه ألا يفكر بمثل

www.elromancia.com

هذه الأمور. هناك كتاب يجب أن ينجزه.

جهزت روزا رداً لتقوله إن حاول اتهامها بأنها تعمدت إغواءه، فهي لم تطلب منه أن يلمسها. لا يحق له أن يعانقها كما فعل. يا إلهي! هو لا يزال يظن بأنها لم تتزوج يوماً. الله وحده يعلم ما الذي سيفعله لو اكتشف الحقيقة.

ليتها تجد طريقة للهروب من هنا. لو أنها تملك سيارة أو تستطيع استخدام هاتفها لما وقفت هناك كالبلهاء بانتظار أن يتذكر بأن لديه زواراً، فهي تعتمد عليه لاستخدام الهاتف كي تتصل بسيارة الأجرة لتقلها ولكي تكلم أمها. كرهت الشعور بالامتنان الذي تشعر به تجاهه بعد ما حصل.

تنهد ليام. إنها تجربة جديدة عليه. لم يعجبه هذا الموقف بتاتاً، فحين يحتاج إلى امرأة ما بإمكانه أن يجد امرأة ذات خبرة تعرف كيف تجعله يشعر بالرضى. هو لم يحضر أي امرأة من قبل إلى هنا، ولم يفعل أي أمر يعكر صفو هذا المنزل.

- أعلم أنك لن تصدقيني، لكني لا أفعل هذا النوع من الأشياء...

أراد أن يكمل كلامه، لكن روزا قاطعته وقالت: «نعم. أنت محق. أنا لا أصدقك سيد جايمسون. قد أكون ساذجة، لكن لا يمكنك أن تزعم أنك لم تستغل وجود امرأة معك من قبل».

- تباً! أنا لم أقم باستغلالك. كما أنني أريدك أن تناديني ليام، بحق السماء! أنت لا تعلمين كم تبدين سخيفة وأنت تقولين سيد جايمسون بعد ما حدث للتو. ربما أنت لا تزالين عذراء أما أنا فلا!

ذهلت روزا من انتقاده غير المنصف وقالت: «آه! أنا متأكدة من أن كل شيء يخصني يبدو لك سخيفاً، لكن لمعلوماتك سيد جايمسون: أنا كنت متزوجة، وتطلقت من زوجي منذ ثلاث سنوات».

حدق ليام بها باستغراب، ثم قال وهو لا يصدق ما يسمعه: «أكنت متزوجة حقاً؟».

- لخمس سنوات.

شعرت روزا بالسعادة لأنها تمكنت من التسبب بصدمة له.

- لا تبدين كبيرة بما يكفي.

- حسناً! لكنني كبيرة فعلاً، أنا في الثانية والثلاثين من عمري سيد جايمسون. كبيرة بما يكفي على ما أعتقد.

تفاجأ ليام كثيراً وشعر بالسخط. ظن أنها لا تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها، لكن ما أزعجه أكثر هو مدى التأثير الذي أحدثته لديه هذه المعلومة. لو عرف أنها في الثانية والثلاثين وسبق أن تزوجت...

عليه ألا يفكر بذلك. ألا يكفيه أنه جعل من نفسه أضحوكة، وخلق نوعاً من التوتر بينهما؟

- اسمعي، دعينا نعترف أننا كلينا أخطأنا. أعترف أنه لم يكن علي معانقتك، لكن ما كان عليك أن تتركيني أصاب بالجنون إلى درجة لم أعد أدرك معها ما أفعله.

أرادت روزا أن تجادله، فليست هي من أحضرته إلى هنا بل العكس، ولو أنه أخبرها الحقيقة منذ البداية لما حدث هذا كله، لكن شيئاً ما لم تفهمه جعلها تحتفظ بالصمت. حين تكلمت أخيراً كل ما قالته هو: «هل بإمكاني استخدام هاتفك إذاً؟».

شعر ليام برغبة كبيرة بالضحك، إذ بدت كلمات روزا غريبة على مسمعه وغير متوقعة على الإطلاق. بدا كأن كل ما كانا يفعلانه منذ قليل هو التحدث عن الطقس. قال: «لمَ لا؟».

بدت روزا متأثرة وهي تقول: «شكراً. أنا فقط أريد الاتصال بأمي مجدداً».

قطب ليام حاجبين داكنين وقال: «هل ستخبرينها أن أختك ليست هنا؟».

- نعم.

أومأ نحو الهاتف على الطاولة وقال: «حسناً! تفضلي».

ترددت روزا قليلاً، ثم قالت: «هـمم... ربما من الأفضل أن أطلب

سيارة أجرة أيضاً. هل هذا ممكن؟ ما اسم ذلك الرجل الذي كلمتني عنه؟».

- ماك أليستر؟

هزت روزا رأسها.

مشى ليام نحو الباب وهو يحاول إخفاء حركة قدمه البطيئة، ثم قال: «لا داعي لهذا. سيذهب سام إلى البلدة في الصباح. بإمكانك الذهاب معه».

لم تكن روزا واثقة أنها تريد ذلك. لم يرحب سام دفلين بها حين التقت به. تمتمت تقول: «إن كان الأمر لا يزعجك، أنا أفضل الاتصال بماك أليستر».

ما لبثت أن ندمت لأنها قالت ذلك.

توقف ليام مكانه، وأدار وجهه قليلاً نحوها وهو يقطب حاجبيه من جديد فوق عينيه الخضراوين، ثم قال: «ما الذي قاله لك سام؟».

- آه! لا شيء. أنا فقط أفضل تنظيم شؤوني بمفردي.

- إذاً، ألا تريدين نصيحة حول المكان الذي ستبيتين فيه؟

لم تفكر روزا بهذا. قالت: «حسناً! بلى. سيكون ذلك مفيداً».

- حسناً! سأطلب من سام إعطاءك عنواناً، و... لا داعي للتسرع. لسنا على عجلة من أمرنا.

فتح ليام الباب محاولاً عدم تحريك قدمه وهو يتحرك نحو الممر

- آه! لكن...

- ماذا؟

بدت ردة فعله واضحة، لكن روزا التي أرادت أن تسأله إن كانت قدمه مصابة بجرح ما غيّرت رأيها فقالت بإلهام فاجأها: «أنت... لم تعطني رقم هاتف ماك أليستر».

عبس ليام وقال: «أنا لا أتذكره الآن. سأطلب من سام إعطاءه لك أيضاً، بعد أن تتصلي بوالدتك».

ألن يشك سام بسبب رفضها الذهاب معه إلى البلدة؟ قالت بصوت

منخفض: «حسناً! شكراً».

- لا داعي للشكر. استمتعي برحلة العودة.

أصبح ليام متحمساً للانتهاء من هذه الأحداث الغريبة التي يعيشها. أوقفته روزا مجدداً وهي تقول: «آه... ! أعني... هل سأراك مجدداً قبل أن أرحل؟».

بدا سؤالها تافهاً لأنه تمنى لها للتو رحلة ممتعة، لكن بما أن الوقت حان للذهاب شعرت بالأسف لتركه.

تنهد ليام وألقى بثقله على الباب: «لست تحاولين القول إنك متأسفة لرحيلك. أليس كذلك؟ لأنني بصراحة أجد صعوبة في تصديق هذا».

التقت نظرات روزا بنظراته الساخرة، ثم وجدت نفسها تقول: «أعتقد أنك ستشعر بالسعادة لرحيلي».

أخذ ليام نفساً عميقاً مسموعاً. ما الذي يفترض به أن يقوله الآن؟

أخيراً قال: «نعم... كثيراً».

لكن حين رأى تعابير وجهها، تابع يقول: «أنت تسببين لي تشتتاً في أفكاري».

- آه... حسناً! أتقصد أنني ضيعت ما يكفي من وقتك؟

- أنا لم أقل هذا.

- لم يكن هناك من داعٍ للقول.

توجهت روزا نحو الطاولة، ثم رفعت السماعة وتابعت: «أتمنى أن تشفى ساقك قريباً».

أجفل ليام، لكنها لم تعد تنظر إليه الآن. أراد أن يسألها عما تعرفه عن إصابته إلّا أنه أبقى فمه مغلقاً.

أغلق الباب خلفه بينما تنفست روزا متنهدة بارتياح. فكرت أنها كلما أبكرت في الرحيل كلما كان ذلك أفضل. بالرغم مما فكرت فيه من قبل فهو يشكل خطراً على راحة بالها.

ردت والدتها على الهاتف بعد الرنة الثانية، وعلى الفور أدركت روزا أن

www.elromancia.com

أمها كانت تنتظر اتصالها.

- صوفي؟ آه، عزيزتي! أملت أن تتصلي مجدداً.

صوفي...؟! مجدداً...؟!

شعرت روزا بالذهول.

- أتعنين أنك سمعت أخباراً عن صوفي؟

سادت لحظة من الصمت، ثم قالت السيدة تشانتري: «روزا! أهذه أنت؟».

- ومن سواي؟ ماذا يجري أمي؟ هل أفهم أن صوفي اتصلت بك؟

تنهدت والدتها وقالت: «حسناً! نعم. اتصلت بي ليلة أمس».

ثم أصدرت صوتاً يعكس حماسها، وتابعت تقول: «بإمكانك أن تتصوري كم شعرت بالارتياح».

تصورت روزا ذلك بالطبع. بإمكان صوفي أن تفعل أي شيء وفي النهاية تسامحها والدتها ببساطة، حتى لو كانت تكذب كما حصل هذه المرة تماماً.

أجبرت نفسها على إظهار الهدوء، فقالت: «أين هي؟ هل أخبرتك؟».

- بالطبع! إنها في اسكتلندا. إنها تمضي وقتاً ممتعاً. الجميع يتصرفون بلطف معها، وهناك احتمال كبير بأن تحصل على دور في الفيلم. أليس هذا مذهلاً؟

- لا أصدق. نعم... بالطبع.

قالت روزا ذلك بجفاء وهي تتساءل لماذا تظهر والدتها الغباء في كل الشؤون التي تخص صوفي. بحق السماء! من سيقوم بتوظيف مراهقة مولعة بنجوم السينما لا تملك أي موهبة للمشاركة في تصوير فيلم؟

بدأت السيدة تشانتري تشعر بالانزعاج.

- توقعت أن تقولي هذا. ليس من المفترض أن تصبي غضبك علي لمجرد أن أختك ليست على الجزيرة. حسناً! اسكتلندا بلد كبير. من الطبيعي أن يحتاج تصوير الأفلام إلى أماكن واسعة وغير محصورة.

أدركت روزا أنها ستبدو مزعجة، لكنها لم تستطع إلا أن تذكر والدتها:

«المجيء إلى الجزيرة لم يكن فكرتي. هذه فكرتك. هل أخبرتها أين أنا؟».

- ليس بالضبط.

اصطكت أسنان روزا على بعضها وقالت: «تقصدين أنك لم تخبريها. إذاً أين هي؟».

- أخبرتك للتو أنها في اسكتلندا.

- في أي مكان في اسكتلندا؟

- آه... حسناً! لست واثقة تماماً.

- لكنك تكلمت معها.

تنهدت السيدة تشانتري وقالت: «لقد فعلت، لكنك تعرفين أختك روزا. انشغلت في إخباري جميع الأشياء المشوقة التي حصلت معها لذا نسيت إعطائي عنوانها».

- نعم. أتصور ذلك.

- آه! لا تكوني مزعجة روزا. ألا تستطيعين اكتشاف مكانها؟

تنهدت روزا وقالت: «وكيف يفترض بي أن أفعل؟».

- حسناً! قلت إنك في منزل ليام جايمسون. أليس كذلك؟ لا بد أنه يعرف مكان التصوير. هل سألته عنه؟

- أنا... همم...

أدركت روزا متأخرة أنها لم تناقش هذا الأمر مع ليام. حين اكتشفت أن صوفي ليست على الجزيرة وأنه لا وجود لفريق العمل هنا لم يخطر ببالها أن تسأله إن كان قد أعطى الإذن بتصوير إحدى رواياته في مكان آخر.

لكن، أما كان ليخبرها بذلك؟

حسناً! هو لم يخبرها حتى من يكون إلا بعد أن اضطر إلى فعل ذلك.

صمتت روزا لفترة طويلة، فقالت والدتها بحدة: «تكلمت معه. أليس كذلك؟».

تكلمت معه؟!

كبتت روزا التنهيدة الهستيرية التي كادت تباغتها بسبب كلام والدتها.

www.elromancia.com

نعم، لقد تكلمت معه. بالرغم من أن هذا لا يصف فعلاً ما حدث بينهما.

قالت روزا بصوت أجش: «نعم... تكلمت معه، أمي. كان... لطيفاً جداً».

بدأت السيدة تشانتري تشعر بالقلق الآن: «وهل أصر على أنه لم ير صوفي؟ آه! ليتها أخذت هاتفها معها إلى غلاستونبري، لكن مارك أخذ هاتفه كما أنني خشيت أن يضيع منها».

تمتمت روزا بصوت منخفض وهي تشعر بالانزعاج لأن والدتها بدأت تقلق من جديد: «أنا... أنا لا أعتقد أن جايمسون رآها. لكنني... سأسأله مجدداً».

الآن بعد أن وجدت أن ابنتها بدأت تلين، أصبحت السيدة تشانتري مستعدة لتكون لطيفة معها فقالت لها: «آه! أنت ابنة صالحة روزا. علمت أن بإمكاني الاتكال عليك. لا تنسي أن تسأليه أين يتم تصوير الفيلم».

وضعت روزا السماعة وهي تشعر بالحيرة. بدا التحدث مع والدتها كلطم رأسها بالحائط، فالسيدة تشانتري تسمع فقط ما تريد سماعه. والآن، ها هي روزا قد وافقت على التكلم مع ليام مجدداً مما يعني انه يجدر بها أن تستعد للتطورات الجديدة.

أطلقت شتيمة وهو أمر نادراً ما تفعله، لكنها شعرت الآن بأن لديها مبرراً لذلك. فكرت روزا أنها لا تعرف ما الذي يمكن أن تفعله لأختها حالما تراها! ستندم صوفي على وضعها في هذه الدوامة.

نعم. لو لم تختفِ صوفي لما أتت روزا إلى هنا، ولما التقت بليام جايمسون. بالرغم من أنه أمر قد تندم عليه طيلة حياتها لكن التفكير بلقائه مجدداً جعل دقات قلبها تتسارع وكأن قلبها يحاول فتح طريقه إلى خارج صدرها.

لكن أين ذهب ليام؟

اتجهت روزا نحو الباب كي تتفاجأ بوجود سام دفلين أمامها. هل كان يستمع إلى اتصالها؟

لكن لا! شيء ما أخبرها أن ذلك الاسكتلندي المتعجرف ليس مهتماً

أبداً بأي شيء قد تقوله. تأكدت من ذلك حين قال: «ماك أليستر في طريقه إلى هنا. من المفترض أن يصل بعد نصف ساعة. هل تودين أن أحمل لك حقيبتك إلى الأسفل؟».

- آه، لا!

كان عليها أن تعلم بأن سام لن يهدر الوقت قبل التخلص منها. تابعت تقول: «لن يكون ذلك ضرورياً، لكني في الواقع أردت التحدث قليلاً بعد إلى السيد جايمسون قبل أن أرحل».

- أخشى أن ذلك مستحيل. السيد جايمسون يعمل، وليس من ضمن مسؤولية عملي أن أقاطعه.

شكت روزا بما يقوله، فمن الواضح أن علاقة العمل بينهما جيدة جداً ولن يقوم ليام جايمسون بفصله من عمله فقط لأنه قاطعه.

أصرت قائلة: «لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة».

- أنا آسف.

لن يتراجع سام إذاً! حدقت روزا به بغضب. فقط لو أن بإمكانها أن تعرف أين هو مكتب ليام. من الواضح أنه لا يعمل في المكتبة كما ظنت في البداية. حسناً! في منزل بهذا الحجم قد يكون مكتبه في أي مكان.

- أخبريني ماذا تريدين أن تقولي له، وأنا سأخبره.

لكن روزا لم تثق به.

- إنه أمر شخصي.

حدقت به لفترة طويلة على أمل أن يشعر بالخجل ويساعدها، لكن في النهاية هي من أبعدت نظرها عنه.

ثم خطرت ببالها فكرة أخرى.

- بإمكانك إعطائي رقم هاتفه، وسأتصل به لاحقاً.

- لا يمكنني ذلك آنسة تشانتري.

- لِمَ لا؟

- السيد جايمسون لا يعطي رقم هاتفه لأي كان.

- إذاً، أعطني رقم هاتفك. سأعلمك بمكان إقامتي وعندها يستطيع السيد جايمسون الاتصال بي.

بدا سام كأنه يريد أن يرفض، لكن ربما فكر أن ذلك ليس ضرورياً، فهو ليس متأكداً أن ليام سيرفض التحدث إليها إن ذهب الآن وأخبره.

لكن عندما تكلم لم تتوقع روزا ما سيقوله: «السيد جايمسون يعرف أين ستنزلين، فقد طلب مني أن أعطيك هذا العنوان».

فاجأها ذلك كثيراً.

- آه! شكراً.

أخذت روزا الورقة ونظرت إليها قليلاً، ثم قالت: «هل يعرف ماك أليستر أين يقع هذا العنوان؟».

- الجميع يعرف نزل كاتي فيرغوسون. هذه ليست لندن آنسة تشانتري.

- أنا لا أعيش في لندن، بل في بلدة صغيرة شمال يوركشاير. إنها ليست مدينة ضخمة مفزعة.

- أنا آسف. افترضت...

كانت روزا متأكدة أنه لا يعني الأسف فعلاً. قاطعته قائلة: «عليك ألا تفترض شيئاً».

شعرت بالسعادة لجعله في موقع الدفاع. حدقت في الورقة من جديد، وقالت: «شكراً على هذه».

هز سام رأسه بتهذيب، ثم قال: «سأعلمك حين تصل السيارة».

قالت روزا مجدداً: «شكراً».

من دون إضافة أي كلمة أغلق سام باب غرفة المكتب وتركها في الداخل.

٧ - عاصفة و...أمل جديد

- هل رحلت روزا؟

أصبح الوقت متأخراً في الصباح. خرج ليام من مكتبه بعد ساعتين غير مثمرتين حاول خلالهما التركيز على شخصيات كتابه. لكن فجأة بدت له تلك الشخصيات غير مقنعة.

وجد ليام سام والسيدة ويلسون في المطبخ في الطابق الأرضي من القصر، وهما يستمتعان بشرب كوبين من القهوة. ناولته مدبرة المنزل كوب قهوة فقبله بسعادة.

لم يكن ليام بمزاج جيد، ولم يتحسن مزاجه حين قال له سام بحماس: «نعم، لقد رحلت. أرادت التكلم معك قبل الرحيل لكنني أخبرتها أنك تعمل وأنني لا أستطيع إزعاجك. أعتقد أن كلامي لم يعجبها».

قطب ليام حاجبيه. لقد أحرق للتو فمه بالقهوة الساخنة، وجاء إعلان سام كالقشة التي قصمت ظهر البعير. قال بغضب: «ماذا فعلت؟ لماذا قلت لها هذا؟».

- حسناً! لأنك لا تحب أن يقاطعك أحد عن عملك عادة. لا تقل لي إنك كنت تتوقع مني أن آتي إلى مكتبك وأقطع عليك حبل أفكارك فقط لأن فتاة مخادعة طلبت أن تراك.

- أستميحك عذراً؟

ازداد عبوس ليام، فخرجت السيدة ويلسون بهدوء من الباب الخلفي بعد أن تممت شيئاً عن حاجتها إلى إحضار بعض الخضار من الحديقة. حدق سام بليام بعدائية، وبالرغم من أن وجهه احمر قليلاً لكنه تكلم من دون أن

يهابه: «أعتقد أنك سمعت جيداً ما قلته!».

قال ليام وهو غير مستعد للتراجع أيضاً: «ومن عيّنك حارساً عليّ؟ أعرف أنك لم توافق على إحضاري لها إلى هنا، لكن هذا منزلي وليس منزلك».

كان سام يتكئ على بلاطة المجلى وهو يتحدث إلى مدبرة المنزل، أما الآن فاستقام في وقفته ثم قال: «اعتقدت أنني أقدم خدمة لك يا رجل».

رفع يده معتذراً، وتابع يقول: «من الواضح أنني كنت مخطئاً. أنا آسف. تأكد أن ذلك لن يحدث مجدداً».

استدار سام ووضع كوبه في المجلى. لكن حين مشى عبر الغرفة وبدا واضحاً أنه يهم بالخروج وقف ليام في طريقه وهو يشعر بالخجل من نفسه لأنه أطلق غضبه في وجه هذا الرجل الذي يكبره سناً. قال: «أنا آسف. سامحني على ما قلته سام. إنه ليس ذنبك، لكن مزاجي سيّء».

تردد سام قليلاً فيما بدا عليه الحزن. شتم ليام نفسه لأنه سبب له ذلك. تباً! سام محق. كان فعلاً ليعترض لو أنه قاطعه. إنه يسمح لامرأة بالكاد يعرفها أن تخرب علاقته مع خادمه الأمين، وهذا منتهى الغباء.

مد ليام يده وهو يقول: «أنا أعني ذلك. لا تكترث لكلامي. أمضيت ساعات الصباح في مكتبي من دون جدوى، وأنا مستعد للوم أي شخص إلا نفسي».

زمّ سام شفتيه، لكنه أمسك بيد ليام وشدّ عليها بحرارة ثم قال: «عليك بلوم الفتاة الشابة».

لكن ليام ليس مستعداً لذلك.

ارتشف القليل من فنجانه، ثم قال: «لكنها رحلت الآن. أعتقد أن ماك أليستر أتى إلى هنا. أليس كذلك؟».

أجاب سام بعد أن شعر بالارتياح: «نعم. أتى بتلك السيارة المتداعية التي يدعوها «سيارة صالون». الله وحده يعلم كيف تنجح تلك السيارة في اختبار الميكانيك».

- أعتقد أنها لا تفعل سام.

تمنى ليام ألا تتعطل تلك السيارة وهي تقل روزا من كيلفويل إلى البلدة. تذكر ما قالته له عن المخاطر في المستنقعات. تخيلها وهي تمر فوق أحد المستنقعات الخادعة ما جعله يعبس من جديد.

لكنه لم يرغب بأن يتكلم عن هذا الأمر مع سام. بعد أن أنهى شرب القهوة قال له: «سأراك لاحقاً. سآخذ الكلاب للتنزه».

قوس سام حاجبيه الرماديين، ونظر نحو فخذ ليام المصاب باهتمام ثم سأله: «هل تريد أن أرافقك؟ أنت لا ترغب في أن يصيبك تشنج جديد وأنت فوق تلك التلال بمفردك».

أخفى ليام نظرة انعدام الصبر عن الرجل الآخر وقال: «قال المعالج الفيزيائي إنه يجدر بي القيام بالمزيد من التمارين. قال إن قضائي الوقت الطويل وراء طاولة المكتب هو السبب على الأرجح في عدم تحسن حالتي».

- وإن يكن...

- سأكون بخير. شكراً على الاهتمام.

بعد أن أحضر ليام معطفه والكلاب خرج إلى الهواء الطلق وهو يشعر بالارتياح، كما شعرت الكلاب بالفرح أيضاً لخروجها من محيط القصر. راحت تركض بحماس وتطارد القطط والعصافير.

لم يعتزم ليام الابتعاد كثيراً، فقد رأى الضباب يتجمع فوق المنحدر. إن لم يخطئ في حدسه لا شك أن المطر سيسقط في المساء. هو يعلم أن الطقس يتقلب في هذه المنطقة بشكل سريع، ولم يكن يرغب بالبقاء خارجاً خلال العاصفة. سيجلد الهواء جسده حتى العظام. كما أنه لن يستطيع الركض تحت المطر للاختباء في مكان ما. بعد الحادثة التي تعرض لها انتهت الأيام التي كان يستطيع خلالها أن يركض.

بالرغم من ذلك توجه ليام نحو المنحدر وهو يمشي عبر العشب المرتفع. بدأت الريح تهب من ناحية المحيط فأخذ شعره الداكن يتحرك فوق جبهته. تمنى ليام لو أنه لبس ثياباً تدفئه أكثر من المعطف المضاد للماء الذي يصل حتى

كاحله ويغطي ساقيه.

بدأت ساقه تتحرك بسهولة أكثر بسبب التمرين، لكنه لم يفكر بالوصول إلى الخليج عبر المنحدر هذا الصباح، فنزول المنحدر يعني العودة صعوداً نحو القصر من جديد وهي خطوة جريئة وكبيرة أيضاً.

فكر ليام بالعودة، وفي اللحظة نفسها قام هارلي وهو أحد الكلاب الصغيرة بإخافة أرنب. يبدو أن المخلوق الصغير كان يختبئ بين الشجيرات الصغيرة التي تنمو على حافة المنحدر. أخذ نباح هارلي يتعالى، فركض الأرنب نزولاً نحو الشاطىء.

لحق هارلي بالأرنب باندفاع غريزي ليطارده، وكذلك فعل الكلبان الآخران. أدرك ليام أنه يهدر وقته في الصراخ على الكلاب كي تعود. لن تعود الكلاب إلا بعد إزعاج الأرنب وإخافته. في تلك اللحظة بدأ يشعر بقطرات المطر تتساقط.

أطلق شتيمة بصوت مرتفع، ومشى عبر حافة المنحدر. بإمكانه رؤية الكلاب بوضوح من تلك النقطة. كان من الأسهل للكلاب النزول عبر مجرى المياه، وبالرغم من أنه لم يعد هناك أي أثر للأرنب إلا أن الكلاب أخذت تركض فوق الرمال، وتدخل في الأمواج ثم تخرج منها من جديد.

أطلق ليام شتيمة أخرى: «تباً!».

جرب كل الوسائل التي بإمكانها جعل الكلاب تعود إليه، لكنه لم يفلح.

ما الذي جناه بسبب تعجرفه وإصراره على عدم قبول مساعدة سام؟ صحيح أن سام أكبر منه بخمسة عشر عاماً، لكنه ما كان ليتردد في اللحاق بالكلاب. علم ليام أنه لن يتمكن من العودة إلى المنزل إلا إن لحق بالكلاب هو أيضاً.

لم يكن من الصعب نزول المنحدر بالرغم من أن الأمطار بدأت تتساقط بغزارة أكثر. تصميمه جعله يتقدم بحماس إلى أن علق حذاءه بالرمال الرطبة. عندئذٍ اقتربت منه الكلاب بسرعة، وأخذت تنبح وتركض بجانبه، وكأن همها الوحيد جعله ينزل المنحدر ليس أكثر.

أمرها ليام وهو يتجاهل اهتمامها به قائلاً: «إلى المنزل».

أخيراً بدت نبرته مقنعة، أو ربما فضلت الكلاب العودة بسبب المطر. بدأت الأمطار تتساقط بغزارة الآن، ولا بد أن الكلاب فضلت أن تبقى جافة على أن تتبلل بالمياه. مهما كان السبب، أطاعته الكلاب أخيراً وبدأت تصعد المنحدر حتى وصلت إلى القمة. وقفت الكلاب الثلاثة هناك، وأخذت تهز ذيلها وهي تشعر بالاعتزاز للإنجاز للذي حققته.

لكن ليام وجد صعوبة في اللحاق بها. أخذ بين الحين والآخر يتمسك بالعشب بيديه كي يمنع نفسه من الانزلاق نزولاً.

بدأت ساقه تؤلمه، فاضطر للتوقف في منتصف طريق الصعود بانتظار حلحلة التشنج الذي أصاب ساقه. يا إلهي! كان عليه أن يتجاوز عزة النفس ويعود إلى القصر لطلب المساعدة. لابد أن العلاج الذي حاول الحصول عليه لعضلاته في لندن ضاع سدىً الآن بعد هذه المغامرة.

بينما وصل ليام إلى قمة المنحدر كانت الكلاب قد اختفت وكان قد توقع حصول ذلك. لكنه أمل أن تكون الكلاب قد اتجهت إلى القصر إن لم يتعثر حظها. قرر ألا يذهب للبحث عنها مجدداً. شعر بالارتياح لأن روزا لم تعد في القصر، إذ لم يرغب بأن تراه في هذه الحالة. تباً! إنه يريد الاحتفاظ ببعض من عزة نفسه.

* * *

ظل المطر يهطل طيلة يوم الأربعاء.

وجدت روزا نفسها محتجزة في نزل كاتي فيرغون ما جعلها تشعر بالاكتئاب. نظرت نحو الأمطار المتساقطة والطقس العاصف وبدت محبطة تماماً. جعلها عدم قيامها بأي عمل تستسلم لمخاوفها راحت تهدئ نفسها، لا بأس بالأمر! عليها تحمل هذا الطقس، لكن... أين هي صوفي؟

حسناً! لن تستطيع القيام بشيء حتى تصل السفينة في صباح اليوم التالي. رسمت دائرة بإصبعها على الرطوبة الكثيفة التي أحدثها تنفسها على الزجاج. بدا جو النزل حميماً. غرفتها صغيرة إلّا أنها مريحة، لكن لم يكن هناك نزلاء

آخرون كي تتسلى معهم.

حدقت عبر الغرفة نحو الطاولة الموضوعة بجانب السرير. سبق أن وضعت هناك كتابين كانت قد أحضرتهما من مكتب البريد. الأول هو عبارة عن رواية اسكتلندية تاريخية تمنت أن تلهيها قليلاً عما يحدث معها لكنها لم تفعل، أما الثاني فهو كتاب لليام جايمسون.

قامت موظفة البريد وهي امرأة اسكتلندية ثرثارة بإغداق المديح على كتابات ليام. أخبرتها أنها قرأت كل كتبه بالرغم من أنها لم تكن تستمتع عادة بهذا النوع من الكتابات.

قالت لها بحماس: «شخصيات كتبه مميزة دائماً. أليس كذلك؟ لوثر كيليان مثلاً... يا إلهي! لم أكن أدرك أن بإمكان مصاصي الدماء أن يكونوا جذابين».

بالطبع، كان على روزا أن تعترف بأنها لم تقرأ شيئاً من كتب ليام، لكنها فهمت كيف فسر سام وجودها على تلك الجزيرة.

تابعت موظفة البريد تقول: «لا أعرف لماذا افترضت أنك قرأت رواياته كلها. ربما لأنك تعملين مع ناشر كتبه».

تفاجأت روزا من كلام تلك الموظفة التي أضافت تقول: «آه... أخبرنا ماك أليستر من أنت حين اتصل به سام دفلين وطلب منه الذهاب إلى كيلفويل كي يحضر فتاة أتت لزيارة السيد جايمسون. من المؤسف أنك ترين الجزيرة في أسوأ حالاتها. إنها فعلاً جميلة».

أخبرتها روزا أنها لم تكن تمطر حين وصلت إلى الجزيرة، لكنها لم ترغب بالاستمرار في الحديث مع تلك الثرثارة. دفعت لها ثمن الكتاب وخرجت من المتجر.

تساءلت روزا إن كان سام قد أخبر القصة نفسها للسيدة فيرغون. بدا ذلك ممكناً، لكن مضيفتها بدت أكثر تحفظاً ولم تسألها عن سبب زيارتها.

تنهدت روزا. بعد أن خدعها ليام وادعى أنه لوثر كيليان أدركت أنها لا تستطيع الآن أن تقرأ كتابه. لم تعد تستطيع تخيل لوثر كيليان بالشكل الذي

يصفه في الرواية. من جهة أخرى، عدم قدوم ليام لرؤيتها قبل أن تغادر الجزيرة جرح مشاعرها قليلاً.

لم تخبر والدتها بذلك بالطبع، بل اتصلت بها يوم الثلاثاء وأخبرتها أين تنزل وأعطتها رقم هاتف النزل وكأنها لم تبت في مكان آخر الليلة الماضية. وعدتها أنها ستتكلم مع ليام جايمسون مجدداً في اليوم التالي وتركت والدتها تعتقد أنها قد أخذت موعداً آخر لمقابلته في اليوم التالي.

من حسن حظها أن والدتها لم تقم بطرح العديد من الأسئلة وروزا لم تتحدث إليها طويلاً. كانت روزا مدركة أن السيدة فيرغون قد تعود في أي لحظة إلى البهو الصغير حيث يوجد الهاتف. لم تكن تريدها أن تشك أن السبب الذي دفعها للمجيء إلى الجزيرة مختلف عما سمعته سابقاً.

في مطلق الأحوال، كان اليومان الماضيان مزعجين جداً. بدأ المطر يتساقط بعد فترة قصيرة من مغادرتها القصر مع السيد ماك أليستر، وقد استغرقت سيارته دهراً كي تقطع أراضي المستنقعات. بعدئذٍ تهادت السيارة بشكل بطيء فوق العشب، ولم تشعر روزا بالارتياح إلّا بعد وصولها سليمة إلى البلدة.

تركت روزا مقعدها بجانب النافذة، وتحركت نحو الطاولة لتحضر كتاب ليام. لايزال أمامها ساعة كاملة قبل أن يحين موعد العشاء. يبدو أنهم يقدمون العشاء في هذه الجزيرة في وقت مبكر دائماً. ستعود بعد ذلك لترتاح في السرير وتقوم بقراءة شيء ما.

بالطبع، كان عليها أن تطلب من ماك أليستر أن يقلها من جديد إلى القصر لتفي بوعدها لأمها. لن يتصل ليام بها بالتأكيد. ربما لأن سام لم يوصل له رسالتها أو لأنه هو نفسه لا يريد مكالمتها، وهذه فرصتها الأخيرة للتحدث إليه.

لكن فكرة العودة إلى القصر في تلك السيارة لم تعجبها أبداً. بالإضافة إلى أنها لا تملك سبباً مقنعاً لرؤية ليام من جديد، فحجة قضاء المزيد من الوقت معه لا تفي بالغرض، لاسيما بعد أن اعترف بأنه يشعر بالسعادة لمغادرتها

القصر. لذا من الأفضل لها أن تمضي هذه الليلة في النزل لتغادر الجزيرة غداً بعد الظهر.

استفاقت روزا في اليوم التالي لتجد أن الرياح تعصف بقوة حول المبنى القديم. تمسكت بالأغطية جيداً وتمنت لو أن باستطاعتها عدم الخروج من السرير. بدت العاصفة قوية جداً، فشعرت بشيء من الرهبة لأنها ستصعد إلى متن السفينة في هذا الطقس العاصف. يا إلهي! لقد شعرت بالدوار وهي قادمة إلى الجزيرة على الرغم من أن المياه كانت هادئة. لاشك أنها هائجة جداً الآن. كيف ستكون حال السفينة وهي تمخر عباب ذلك البحر المضطرب؟

تنهدت روزا، لكن لم يكن أمامها أي حل آخر. عليها أن تستيقظ. أخبرتها السيدة فيرغون أن السفينة تصل عادة عند الساعة الحادية عشرة والنصف وتغادر عند الثانية عشرة والنصف، وأنها تمر بجزيرة أردناروسا قبل أن تعود إلى ماليج، ما يعني أنها ستمضي ساعة إضافية في الرحلة. لكن ساعة أخرى في الطقس المماثل سيجعلها تشعر بدوار البحر.

تمنت لو أنها تستطيع التظاهر بالمرض لتبقى على الجزيرة حتى الإثنين المقبل. لكن ليس من طبيعتها أن تكذب، كما أن عليها العودة من أجل والدتها. سوف تحاول العثور على مكتب سياحي لتسألهم إن كانوا يعرفون شيئاً عن شركة الانتاج التي ادعت صوفي أنها انضمت إليها. بالرغم من أن روزا شكت في نجاح تلك الخطة إلا أنه الخيار الوحيد أمامها، لذا أصبحت فكرة العودة صائبة الآن.

بعد أن استحمت وغيرت ملابسها نزلت لتناول الفطور. وجدت السيدة فيرغون بانتظارها.

قالت لها بأسف: «أخشى أنك لن تستطيعي المغادرة اليوم آنسة تشانتري. تأجلت جميع الرحلات البحرية بسبب العاصفة، ولن تغادر السفينة ماليج قبل أن تنتهي».

غمر روزا شعور عارم بالارتياح جعلها تبدو كالمشلولة.

- أتعنين أنه علي البقاء هنا حتى تتوقف العاصفة؟

أجابتها السيدة فيرغون وعلى وجهها ابتسامة أسف: «حسناً! حتى تهدأ قليلاً على الأقل. أنا آسفة».

شعرت روزا بالخجل لأنها لم تستطع إخفاء ارتياحها وهي تقول: «هذا ليس ذنبك. إذاً... متى تعتقدين أن العاصفة ستهدأ؟».

- ليس قبل يوم السبت، لكن لا يمكنني أن أؤكد لك مجيء السفينة. نحن في جزيرة صغيرة آنسة تشانتري. ربما سيقررون عدم إرسال السفينة حتى يحين موعد الرحلة التالية يوم الاثنين.

- الاثنين... فهمت!

فكرت روزا أنه يجدر بها أن تتنبه لما تتمناه من اليوم فصاعداً.

- بالطبع! إن كان هناك سبب طارئ للعودة إلى ماليج بإمكانك أن تخبري السيد جايمسون. قد يطلب من قبطان طائرته أن يوصلك بطائرته الخاصة. أعني...

بدا كأن السيدة فيرغون تفكر في الموضوع بجدية، فتابعت تقول: «... أنت عالقة هنا بسببه. أليس كذلك؟».

- آه... ! نعم... لكني لا أعتقد أنها فكرة جيدة.

أوشكت السيدة فيرغون على الاعتراض على كلامها، فتابعت روزا تقول: «ألا تواجه الطائرات أيضاً مشاكل مع الطقس الرديء؟».

أكدت لها السيدة فيرغون قائلة: «إنها ليست كالسفن على أي حال. أنا واثقة أنك ستجدين حلاً لمشكلتك بعد انقضاء يوم غد».

شكت روزا بانتهاء مشاكلها في الغد! من المستحيل أن يسمح لها ليام باستخدام طائرته. إنها طائرة بحق السماء!

أوضح لها ذلك أكثر أنها ستكون فعلاً غبية لو فكرت بلقائه من جديد. طريقة حياته مختلفة جداً عن طريقة حياتها.

لم تعلق على الموضوع أكثر، وغادرت السيدة فيرغون لتحضر لها الفطور. ابتسمت روزا وهي تفكر لاشك أن السيدة فيرغون تعتقد أنها تفكر

الآن بالعرض الذي اقترحته، لكن في الواقع ما تفكر فيه روزا هو أنها حصلت على فرصة جديدة للتكلم مع ليام.

٨ - صدفة وميعاد

يا لهذه الصدفة الجميلة!

هذا ما فكرت به روزا صباح يوم الجمعة. ستشهد يوماً ماطراً جديداً. بالأمس استعارت معطف السيدة فيرغون وخرجت لبعض الوقت بعد الظهر، لكنها لم تستمتع بنزهتها كثيراً. كان المطر سيئاً جداً أما الرياح فلا تطاق، إذ أزاحت قبعة المعطف عن رأس روزا تاركة شعرها تحت رحمة الطقس القاسي.

حاولت من جديد أن تقرأ كتاب ليام، وبدت مستمتعة به إلى أن قال لوثر كيليان شيئاً قد يقوله ليام بنفسه. عادت إليها ذكريات لقائهما بكل تفاصيله المربكة، فاضطرت إلى ترك الكتاب جانباً والتفكير بأمر آخر.

نظرت روزا الآن إلى الخارج من نافذتها، وعلمت أن أمامها يوماً جديداً تهدره هنا. بدا لها كأن الرياح لن تهدأ مطلقاً، وبالرغم من أن المطر لم يعد يتساقط بغزارة كالسابق إلّا أن الطقس ما زال ماطراً.

أمكنها رؤية المرفأ من النافذة. رأت بعض المراكب التي ترسو هناك. لا شك أنها مراكب الصيادين الذين لم يبحروا بعد.

قدرت أن الأمر لم يؤثر على صوفي أيضاً، فلاشك أنها تستمتع بوقتها. من المؤكد أنها تنزل في أحد الفنادق الفخمة وتستمتع بفطور متأخر مع الرجل الذي هربت معه. حسناً! إنه ليس ليام جايمسون. ربما خدعها ذلك الرجل بانتحال شخصيته، لكنها متأكدة أن صوفي ذكية بما يكفي كي لا تصدقه.

لكن أين هي؟ بالرغم من أن روزا متأكدة من أن ليام لا يعرف مكان

www.liebromancia.com

صوفي، إلّا أنها توقعت أن يملك فكرة ما حول الموضوع. القيام بأي خطوة مهما كانت هو أفضل من الجلوس هنا مكتوفة اليدين.

هزت روزا رأسها بنفاد صبر إذ أدركت أنها تفتش فقط عن سبب لرؤيته. حسناً! في النهاية، والدتها تتوقع منها أن تقابله. بطبيعة الحال أول أمر سألت والدة روزا عنه حين اتصلت بها بالأمس هو هذا اللقاء.

قالت لها: «لكن... لمَ لم تقابليه بعد؟».

كان على روزا أن تشرح لوالدتها عن مدى قوة العاصفة، بعدئذٍ سألتها إن كانت قد تلقت أخباراً جديدةً من صوفي، بالرغم من أنها كانت متأكدة أن والدتها لم تعرف شيئاً جديداً. في النهاية يجدر بروزا أن تذكرها أن صوفي هي الوحيدة المسؤولة عن اختلاق المشاكل وليس هي.

فكرت روزا أن صوفي تعمدت ألّا تتكلم مع والدتها مجدداً، فبعد أن اتصلت بها مرة لاشك أنها تتوقع منهم أن يراقبوا الاتصال ليعرفوا مصدره. جعل ذلك الأمر روزا مضطرة لإيجاد وسيلة أخرى لاكتشاف مكان أختها.

بدت والدة روزا جاهلة تماماً لظروف ابنتها الكبرى، فقد اعترضت حين أخبرتها روزا أن السفينة لن تعود إلا بعد توقف العاصفة تماماً قائلة: «لاشك أنه يوجد وسيلة أخرى للعودة إلى ماليج. ماذا عن الطائرات؟ لم تتوقف حركة الطيران. أليس كذلك؟ أو ربما بإمكانك إيجاد سفينة أخرى».

ذهلت روزا لغباء والدتها، فقالت لها بغضب: «أمي! ليس هناك مطار في كيلفويل، ثم... أي سفينة أخرى تقترحين؟ قارباً لصيد السمك مثلاً؟!».

قالت السيدة تشانتري بانعدام صبر: «إذاً، هل تحاولين إخباري أنك لن تستطيعي القيام بشيء حتى تعود السفينة من جديد؟».

- نعم. هذا في ما يخص الخروج من الجزيرة. صدقيني أمي! أنا لست راضية عن الوضع أكثر منك.

لكن أتراها صادقة فعلاً؟ إدراكها أن ليام يقطن على بعد بضعة أميال فقط بدا لها أمراً مغرياً. لو أن السفينة غادرت كالمعتاد لأصبحت الآن على

بعد مئات الأميال، ولم تعد أمامها أي فرصة لرؤيته من جديد.

عبست روزا، وفكرت أن ليس بإمكانها البقاء في غرفتها طبلة اليوم. لقد انتهت من تناول فطورها، ولم تعد الكتب التي اشترتها تغريها الآن. لابد من وجود طريقة ما للعودة إلى القصر! سرعان ما أخذت دقات قلبها تتسارع بسبب تلك الفكرة. سيجعلها ذلك تقوم بشيء ما على الأقل، حتى لو قام ذلك العجوز سام دفلين بمنعها من الدخول.

كانت السيدة فيرغون تقوم بتنظيف الغبار في غرفة الجلوس حين نزلت روزا وهي تشعر ببعض التوتر. توقفت عند الباب وبدأت بالكلام بشكل فاجأ السيدة فيرغون لأنها لم تكن تدرك وجود روزا بقربها.

- هـمم... كنت أتساءل... كنت أتساءل إن كان هناك سيارة بإمكاني استئجارها ليوم كامل.

عبست المرأة وهي ترمي بقطعة القماش التي تستخدمها للتنظيف جانباً، ثم قالت: «ألا تعرفين رقم هاتف السيد ماك أليستر؟ أعتقد أنني كتبته في مكان ما».

قاطعتها روزا قائلة: «لا!».

شعرت السيدة بالاستغراب، فتابعت روزا تقول: «لا أقصد سيارة أجرة... أتساءل إن كان هناك سيارة بإمكاني استئجارها كي أقودها بنفسي».

- حسناً! إنه ليس يوماً مميزاً للخروج والاستمتاع بالمناظر.

- أعلم ذلك. في الواقع أود الذهاب لرؤية السيد جايمسون مجدداً. هناك أمر... نسيت أن أسأله عنه.

- آه! وأنت لست مستعدة للعودة في سيارة السيد ماك أليستر من جديد. أليس كذلك؟

- حسناً...!

شعرت روزا أن الاحمرار صبغ وجهها، لكن المرأة ابتسمت وقالت: «نعم. فهمت! أنت لم تعجبي بطريقة قيادته يا فتاة. أعترف لك أنني أتردد

كثيراً قبل أن أطلب منه أن يقلني».

ارتاحت روزا لتفسيرها هذا، وقالت: «إذاً... هـمم... هل هناك سيارة للإيجار؟ سأدفع مقابل ذلك بالطبع».

- آه! بإمكانك استخدام سيارتي آنسة تشانتري، فأنا بالكاد أستخدمها. إنها ليست جديدة لكن لا بأس بقيادتها.

- آه! سيكون ذلك رائعاً!

ضحكت السيدة فيرغون من جديد، وقالت: «لا تقولي ذلك حتى تري السيارة. تعالي معي. سأريك أين أركنها».

إنها سيارة فورد قديمة مركونة خلف النزل. حالما رأتها روزا فهمت أن السيدة فيرغون لم تكن تبالغ حين قالت إنها ليست جديدة. بدت السيارة وكأنها صنعت منذ أكثر من عشرين عاماً، بالإضافة إلى أنها مغطاة بالغبار.

كان على السيدة فيرغون أن تزيل مجموعة من حشرات العنكبوت قبل أن تتمكن من فتح الباب، لكن المحرك دار من التجربة الثانية فقط. وقفت روزا جانباً بينما قامت السيدة فيرغون بتوصيل السيارة إلى الطريق. من الجيد أن المطر قام على الفور بإزالة الغبار عنها. تأكدت روزا أن المساحتين الأماميتين تعملان بشكل صحيح فشعرت بالارتياح. لم تعرف كيف تشكر السيدة فيرغون كفاية على معروفها.

تركت السيدة فيرغون مقعد القيادة لضيفتها وتوجهت بسرعة نحو المكان المسقوف كي تحتمي من المطر، ثم قالت: «آه... لا داعي للشكر. قودي بحذر، فالطرقات المغمورة بالأمطار قد تسبب الانزلاق. لا أريدك أن تدخلي المستنقعات متزلجة».

فكرت روزا أنها لن تحب ذلك أيضاً، لكنها قاومت الشعور بالخوف. لن تكون قيادتها أسوأ من قيادة ماك أليستر العجوز، ولن تهتم حتى لو أمضت طيلة فترة الصباح في طريقها للوصول إلى القصر.

أول مشكلة واجهتها روزا مع السيارة وجعلتها تتأكد أن قيادتها ليست مهمة سهلة هي عندما حاولت الالتفاف عند أول منعطف واجهته. شعرت

أن المقود تصلب في مكانه وأن السيارة التفت حول المنعطف من تلقاء ذاتها.

واجهت صعوبة منذ البداية في تحريك المقود، وسرعان ما شعرت أن ذراعيها تؤلمانها من كثرة المنعطفات والالتفافات. في هذا الوقت كانت قد وصلت بالقرب من المرفأ. حالما وصلت إلى الطريق الرئيسي خارج البلدة أصبحت الطريق سهلة، لكن روزا لم تكن تتطلع بحماس نحو الرحلة التي ستقطعها وحدها عبر المستنقعات.

كانت الرؤية سيئة بسبب الأمطار، ولمرة أو مرتين شعرت روزا كأنها رأت أشباحاً فوق المستنقع، لكن تبين أنها مجرد أشجار تساقطت أوراقها بفعل الرياح. شعرت بالسعادة لأنه لم يكن عليها القيادة إلى القصر ليلاً.

أخيراً وصلت إلى الطريق المؤدي إلى قصر كيلفويل. لم تستطع رؤية القصر بالتأكيد بسبب الأمطار الغزيرة، لكنها بين الحين والآخر تمكنت من رؤية مزرعة بالإضافة إلى بعض الدواجن والمواشي. حتى إنها رأت مزارعاً يجمع الأبقار في الزريبة.

شعرت روزا بالارتياح لذلك. بقيت المشكلة الوحيدة الآن هي الدخول لرؤية ليام. ساورها شعور بأن سام لن يكون مسروراً بحضورها حالما يراها عند الباب، لكن عليه أن يتوقع أنها لم تغادر الجزيرة بعد وأنها قد تحاول العودة لرؤية ليام. قطعت فوق الجسر وركنت السيارة في المكان الذي ركن فيه ليام السيارة منذ أربعة أيام. أربعة أيام! شعرت روزا بالذهول. هل مرت هذه المدة القصيرة فقط منذ ذلك اليوم؟ كشرت وهي تفكر أنها تشعر كأنها أمضت أكثر من نصف حياتها في هذا المكان.

خرجت روزا من السيارة وأغلقت الباب خلفها بحذر. لم يأت أحد لاستقبالها، أما هي فتمنت أن يعرف ليام بوصولها على الفور. ضمت يديها إلى صدرها لتتقي قساوة الرياح الآتية من المحيط، ثم قطعت الباحة الخارجية نحو بوابة القصر.

لم يكن هناك جرس، لكن هذا ما توقعته، فنبلاء العصور الماضية لم يكونوا بحاجة إلى أجراس. بحسب الكتب التي قرأتها كانت حبيبة الفارس

تنتظره عند إحدى النوافذ الصغيرة، وما إن يقوم الحارس اليقظ بإعلام أصحاب المنزل بوصول شخص غريب، حتى يتم إنزال البوابة الحديدية لحماية الموجودين في القصر و . . .

- آنسة تشانتري!

كانت روزا منشغلة بأفكارها حتى إنها لم تنتبه أن الباب قد فتح. ظهرت مدبرة المنزل أمام الباب، وأخذت تنظر نحو روزا بدهشة.

علمت روزا أنه كان عليها أن تتهيأ أكثر لهذه المواجهة.

- آه! سيدة ويلسون. هـمم . . . كيف حالك؟

نظرت المرأة بارتباك من فوق كتفها إلى ما ورائها، ثم قالت: «أنا بخير، شكراً. هل بإمكاني أن أساعدك في شيء؟».

ابتسمت روزا، وقالت: «أتمنى ذلك. هل . . . هل السيد جايمسون هنا؟».

بدا سؤالها سخيفاً. شعرت روزا بذلك حالما خرجت الكلمات من فمها. أين بإمكانه أن يكون إلا هنا!

- السيد جايمسون؟

شعرت مدبرة المنزل بالشك، فأسرعت روزا تضيف قائلة: «نعم. أعني هل هو منشغل هذا الصباح، أم أن بإمكاني التحدث إليه؟».

من جديد، نظرت السيدة ويلسون إلى الخلف من فوق كتفها، ثم قالت: «آه! أنا . . . أخشى أنه ليس بإمكاني إجابتك آنسة تشانتري».

ترددت مدبرة المنزل قليلاً، ثم تابعت تقول: «من الأفضل أن تسألي السيد دفلين. سأناديه حالاً».

- لا! أنا . . .

أرادت روزا أن تقول إن السيد دفلين هو آخر شخص تود رؤيته لكن فات الأوان، فقد دخلت المرأة بسرعة إلى المنزل تاركة روزا أمام الباب تحاول تدفئة قدميها كإحدى البائعات المتجولات الملحات.

فكرت روزا أنه كان بإمكانها دعوتها إلى الداخل. إنها ليست المرة الأولى

التي تدخل فيها إلى القصر. لقد أمضت الليل هنا! لماذا تعاملها الآن كأنها دخيلة؟

لأنها فعلاً دخيلة! فكرت روزا بذلك عندما سمعت وقع قدمي سام دفلين. حاولت البقاء قريبة من المدخل كي تبقى جافة قدر المستطاع لكن محاولاتها باءت بالفشل. تراجعت إلى الخلف بشكل غريزي حين رأت السيد دفلين.

بدا سام دفلين مرحباً بشكل ملفت للنظر حتى أكثر من مدبرة المنزل. قال وهو يتراجع إلى الوراء كي يدخلها إلى الردهة الداخلية الواسعة: «آه! ادخلي آنسة تشانتري. إنه صباح رهيب. لاشك أنك تتمنين انحسار العاصفة. أتوقع أنك تنتظرين بشوق للعودة إلى ماليبج».

لم يكن أمام روزا إلا الموافقة على كلامه، فقالت: «نعم. هـمم . . . أنا آسفة لإزعاجك مجدداً، لكنني مازلت أريد التحدث إلى السيد جايمسون».

صمتت قليلاً، ثم سألته بشكل متهور قليلاً: «أوصلت له رسالتي. أليس كذلك؟».

- ما هي تلك الرسالة آنسة تشانتري؟

تنهدت روزا. كان عليها أن تتوقع بأن لطفه لن يدوم طويلاً.

- حسناً! بأنني أردت التحدث إليه مجدداً. لو لم تتأخر السفينة لغادرت قبل اليوم!

نظر سام نحوها وهو يغلق الباب، ثم قال: «أحقاً؟ على العكس مما تظنينه آنسة تشانتري، لقد أوصلت رسالتك للسيد جايمسون».

شعرت روزا أنها بدت غبية الآن وأن وجهها بدأ يشتعل بسبب الاحمرار الذي علا وجنتيها، إلا أنها ابتلعت إذلالها وقالت: «آه! آه، فهمت! أتعني أن السيد جايمسون لم يرغب بالتحدث إلي. حسناً! لابأس، أدركت الآن أنه لم يكن يجدر بي إزعاجه».

أدارت روزا ظهرها، وتوجهت نحو الباب وهي تقول: «شكراً لأنك أبلغتني».

ما إن وضعت يدها على مقبض الباب حتى تكلم سام من جديد، فقال: «انتظري! اسمعي آنسة تشانتري. لم أقصد من كلامي أن ليام يرفض التحدث إليك. في الواقع، أنا لا أعرف ما كان ليفعل لو... لو...».

تردد سام كثيراً في متابعة كلامه كأنه لا يريد أن يتابع، لكن اللباقة جعلته يكمل قائلاً: «لو كان بإمكانه ذلك».

صمت قليلاً من جديد قبل أن يستأنف الكلام قائلاً: «إنه... ليس على ما يرام منذ يوم الثلاثاء حين تركته. هذه هي الحقيقة».

أصيبت روزا بالرعب من تأثير كلامه عليها. سألته: «أبسبب ساقه؟».

علمت روزا أنها خطت في أرض غير آمنة الآن، لكنها شعرت بما يكفي من القلق كي تقوم بتلك المخاطرة. شبكت أصابعها الباردة ببعضها، ووضعت يديها فوق صدرها، ثم تابعت تقول: «أرجوك، أخبرني!».

سألها سام بقلق: «أتعرفين بشأن جروحه؟».

لم تملك روزا الجرأة لادعاء ذلك، فقالت: «أنا فقط... لاحظت أنها تؤلمه في بعض الأحيان. أليس كذلك؟».

لم يعترف سام بالأمر فقال: «ربما. لكنه علق تحت المطر حين أخذ الكلاب في نزهة يوم الثلاثاء، ولم يعد يشعر برغبة في لقاء الناس بعد ذلك اليوم».

- أتعني أنه أصيب بالرشح؟

بدا بوضوح أن سام لم يكن سعيداً في التكلم عن رئيسه من دون علم هذا الأخير، لكنه اعترف أخيراً قائلاً: «شيء من هذا القبيل. كما رأيت بنفسك، لا يمكن التنبؤ بأحوال الطقس هنا».

سألته روزا بذعر: «هل تقصد أنه أصيب بنزلة صدرية؟».

هزّ سام رأسه، ثم قال بانعدام صبر: «آه... لا! الأمر ليس خطيراً. إنه مجرد زكام خفيف. ليام ليس مريضاً جداً آنسة تشانتري».

- هل بإمكاني أن أفهم ما الذي يجري هنا؟

باغتهما صوت ليام المفاجئ وشعر سام بالكثير من الذنب. قال بصوت

مرتجف: «آه، يا رجل! هل كان عليك أن تخيفنا إلى هذه الدرجة؟ لم أسمعك تقترب».

- هذا واضح. ما الذي يحدث؟

ترك ليام مكانه عند آخر الدرج، وتحرك بتثاقل نحوهما. لاحظ أن روزا تنظر نحوه وكأنه آخر شخص تتوقع رؤيته، وأزعجه ذلك كثيراً. من الذي تتوقع رؤيته في هذا المنزل، بحق السماء؟

نظرت روزا إليه بارتباك. فبعد ما أخبرها به سام تخيلت أن ليام مريض جداً وأنه يمضي وقته وهو يسعل ويعطس ويمسح أنفه، لكن الحقيقة بدت مختلفة تماماً. هاهو يقف أمامها مرتدياً سرواله الجينز الضيق كالمعتاد وقميصاً حريرية ذات كمين طويلين، يتلاءم لونها مع لون عينيه وقد بدا مشتتاً للأفكار فعلاً وخطيراً تماماً مثل لوثر كيليان.

بدأ سام يقول: «الآنسة تشانتري...».

لكن روزا علمت أن عليها ألا تسمح للرجل العجوز بتحمل ذنب اقتحامها للمنزل، فقاطعته بسرعة قائلة: «أتيت لرؤيتك، لكن السيد دفلين كان يخبرني أنك لست بخير».

- أخبرتها فقط أنك مصاب بزكام. ليس أكثر.

استغربت روزا النظرات التي تبادلها الرجلان في تلك اللحظات.

قبل ليام بكلام سام، وقال: «حسناً!».

إنه متأكد أن سام -بالرغم من أخطائه- وفيّ جداً، ولن يخبر أحداً عن حياته الشخصية.

التفت ليام نحو روزا الآن ولاحظ أنها ترتجف، لكنه لم يكن واثقاً إن كان ذلك بسبب السترة الخفيفة التي ترتديها أم بسبب خوفها منه. قال لها بسرور: «حسناً! آنسة روزا، من الأفضل أن تأتي برفقتي».

اتسعت عينا روزا، وظهر فيهما القلق، لكنها قالت وهي توجه ابتسامة شكر لسام: «حسناً! شكراً لمساعدتك سيد دفلين».

- هذا من دواعي سروري آنسة تشانتري. هل ستحتاجين إلى من يقلك

لاحقاً؟

ابتسمت روزا له وقالت: «آه، لا. لقد استعرت سيارة السيدة فيرغون. لكن شكراً لك على كل حال».

هزّ سام رأسه، ثم التفت يسأل رب عمله: «هل أطلب من السيدة ويلسون إعداد القهوة؟».

وافق ليام قائلاً: «يبدو ذلك جيداً».

رمق سام روزا بنظرة فاحصة، ثم اختفى عبر باب في الطابق الأرضي.

اوماً ليام لروزا كي تسير أمامه على الدرج، ثم قال: «لقد أحرزت انتصاراً».

عبست روزا وقالت: «لا أعتقد ذلك».

- أما أنا فبلى. سام ليس من النوع السهل. صدقيني! لاسيما مع النساء.

هزت روزا رأسها، ومشت أمام ليام على الدرج. تبعها ليام، ولم يستطع إلّا أن يلاحظ انحناءات جسدها. قد تكون روزا نحيلة، لكنها كانت تملك ساقين طويلتين تحت السروال الصوفي الذي ترتديه.

لاحظ ليام أيضاً الطريقة التي حاولت فيها جمع شعرها وربطه بعقدة عند قمة رأسها، لكن كالمعتاد قامت الأمطار والرياح بتخريب جهودها، بحيث انسدلت بعض الخصل الحمراء الذهبية فوق كتفيها. شعر ليام برغبة في الامساك بخصلة منها ليقوم بلفها على إصبعه، لكنه كبح رغبته تلك على الفور. من الأفضل له ألّا يكتشف ما ستكون عليه نتيجة قيامه بخطوة مماثلة مهما بدت الفكرة مغرية. بالإضافة إلى أنه بالرغم من تأكده أنها تجاوبت معه تماماً في بداية الأسبوع، لكنها إن رأت الندوب المخيفة المنتشرة فوق جسده فستهرب على الأرجح تماماً مثلما فعلت كايلا.

في هذه الأثناء، كانت روزا تستمع إلى صوت تنفس ليام، وقررت أن سام لم يكن يبالغ حين أخبرها أن ليام يعاني من الزكام. بدا كأنه يناضل كي يأخذ نفساً عميقاً. شعرت بالخجل لأنها شكت في صدق سام.

أخيراً وصلا إلى آخر الدرج. مشى ليام عبر قاعة ضيقة، وبعدئذٍ قطع أمام عدة أبواب بما فيها باب المكتبة وغرفة الطعام اللتين تذكرتهما روزا من زيارتها الماضية، ثم توقف أمام باب في آخر القاعة.

وراء ذلك الباب رأت روزا غرفة جلوس واسعة. لكن بسبب السقف المنخفض كانت المصابيح مضاءة فوق الطاولات وفي الخزائن بالإضافة إلى وجود مصابيح الإنارة الموجهة نحو السقف والتي أعطت نوراً إضافياً.

على جانبي الموقد توزعت أريكتان ذات قماش مخملي، وامتلأت الرفوف التي غطت المساحة بين النوافذ الطويلة بالكتب والروايات. أما النوافذ فقد انسدلت على جانبيها ستائر حريرية بلون الكراميل الدافئ الذي يشبه تماماً لون الأريكتين، وقد ظهرت من خلفها العاصفة المخيفة في الخارج. لكن روزا توقعت أن يبدو المنظر خلاباً من النوافذ حين يكون الطقس جميلاً.

تراجع ليام إلى الخلف كي يسمح لها بالدخول قبله: «تفضلي!».

ترددت روزا قليلاً، ثم تمتمت وهي تحدق نحو قدميها: «حذائي وسخ!».

قطب ليام حاجبيه، ثم هزّ كتفيه وقال: «بإمكاني رؤية ذلك. اخلعي حذاءك إذاً».

- ألا تمانع؟

سألها ليام ممازحاً: «ولمَ أمانع؟ بإمكانك خلع أي شيء تريدينه».

ثم صمت قليلاً وهو يدرك أنها بدأت تنظر نحوه بحذر الآن. ما لبث أن أضاف بلطف: «أعني هل تريدين خلع سترتك. إنها مبللة أيضاً».

٩ - قهوة ساخنة وبرودة قاتلة

لم تعرف روزا كيف تفسر كلامه، لكنها انحنت وخلعت حذاءها ذا الكعبين المنخفضين، ووضعته بجانب الباب. ثم خلعت سترتها، لكنها وضعتها فوق ذراعها ودخلت إلى الغرفة.

بدت السجادة دافئة وناعمة تحت قدميها الحافيتين. لم تدرك مدى برودة قدميها حتى شعرت بدفء الغرفة من رأسها حتى أخمص قدميها. أدركت أن ليام كان يلحق بها، وحين أغلق الباب خلفه استدارت نحوه وهي تشعر بالذنب بسبب شعورها بالارتياح.

احتاجت روزا أن تقول شيئاً كي تؤكد له أنها لا تشعر بالحميمية معه، فقالت: «إنها غرفة جميلة. القصر كله جميل. أنت محظوظ لأنك تعيش هنا».

أخذ ليام سترتها من يدها، وأومأ نحو الأريكة، ثم قال: «هل تظنين هذا؟ حسناً! لِمَ لا تجلسين وتحدثيني عن الأمر؟».

لم تجد روزا إجابة ملائمة، لكن بعد أن رأته يضع معطفها على كرسي بجانب الباب قررت أن ليس لديها ما تخسره. جلست على حافة الأريكة بشكل يعكس بوضوح توترها.

اقترب ليام للانضمام إليها. ومن جديد لاحظت كيفية تحريكه لساقه اليسرى. حسناً! إنها ليست هنا لتسأله أسئلة شخصية. ذكرت روزا نفسها بذلك بالرغم من أن رغبتها في الظهور بمظهر هادئ تعثرت حين أتى للجلوس بقربها.

اضطرت إلى الالتفاف في مكانها كي ترى وجه ليام، ما جعلها بحاجة إلى الاستلقاء قليلاً فوق الوسادات خلفها. قال لها: «حسناً! إذاً هل غيرت

رأيك؟».

- بأي شأن؟

- بشأن المكان الذي لا يصلح بنظرك إلا كمأوى للخراف والقطعان.

قال ليام ذلك وهو يتأمل بعينيه الخضراوين وجهها المرتبك.

علا اللون الزهري وجنتي روزا، وقالت: «أنا لم أقل هذا».

- لكنك قلت كلاماً مماثلاً. أتذكر أنك سألتني حتى إن كان المكان متحضراً.

- هذا كان قبل أن أراه. على أي حال، لم آتِ إلى هنا من أجل هذا.

استلقى ليام إلى الخلف، ووضع رجله اليمنى فوق رجله اليسرى ثم قال: «لم أعتقد ذلك. أخبرني سام أنك أردت التحدث إلي صباح يوم الثلاثاء.».

- لكنك لم تعتبر الأمر مهماً بما يكفي كي تتصل بي، بالرغم من أنك تبدو بحالة أفضل الآن.

قال ليام بجفاف: «آه! نعم، أفضل كثيراً».

نظرت روزا إليه بحذر، ثم قالت: «إذاً، هل كنت ستتصل بي أم لا؟».

قال بهدوء: «لا. اعتقدت أن هذا أفضل».

ابتلعت روزا ريقها، ثم قالت: «الأفضل... لمن؟ لك أنت بالتأكيد!».

نظر ليام نحوها باهتمام غير مرغوب فيه. هو لا يحتاج إلى هذا الآن. قال لها: «نعم. لي أنا ولك أيضاً. لا أعتقد أن هناك ما نقوله لبعضنا. أليس كذلك؟».

أدركت روزا أن من الأفضل لها أن تقف على قدميها وتغادر المكان قبل أن تقول شيئاً تندم عليه لاحقاً.

- حسناً! من الواضح أن لدي ما أقوله. هناك أمر أود أن أسألك عنه بخصوص صوفي.

بخصوص أختها!

أراد ليام أن يطلق شتيمة. لكن ألم يتكلما بما فيه الكفاية عن اختفاء

أختها؟ بالرغم من أنه لم يتعرف إلى أختها، لكنه شعر بأنه لا يحبها أبداً.

أنزل قدمه على الأرض، ثم انحنى إلى الامام، وقال متحكماً بنبرة صوته: «ماذا بشأنها؟».

بللت روزا شفتيها الجافتين، ثم قالت: «أنا... نسيت أن أسألك إن كنت تعرف بوجود فريق عمل فيلم سينمائي في منطقة أخرى من اسكتلندا».

نظر ليام نحوها نظرة شك، ثم قال: «حسناً! بالطبع، يقوم الكثير من الأشخاص بتصوير الأفلام في هذه البلاد. ماذا إذاً؟ هل تعتقدين الآن أن أختك تتسكع مع أحد الشبان الذين يعملون في إنتاج الأفلام؟».

بالرغم من نظرة عدم التصديق في عيني ليام شعرت روزا بالتفاؤل.

- هذا ممكن. أتذكر أنك أخبرتني باحتمال وجود بعض الإنتاجات الأخرى.

- ما الذي قلته؟ وما علاقتي أنا بتلك الأفلام؟

- حسناً! إنها كتبك. أليس...

- مهلاً! هل اعتقدتك أنني كنت أتكلم عن إنتاجات أخرى لكتبي؟

- حسناً! أليس هذا ما قصدته؟

- تباً! بالطبع لا. كنت أتكلم عن الأفلام بشكل عام. بحق السماء! لو كنت أعرف أنهم يقومون بتصوير فيلم من إحدى رواياتي في المنطقة لأخبرتك على الفور.

- إذاً، ألا يقوم أحدهم بذلك؟

- لا.

- هل أنت واثق؟

ضحك ليام قليلاً، ثم قال: «حسناً! دعينا نوضح الموضوع بهذه الطريقة: أنا لم أقم بتوقيع أي عقد».

- أتعني أنهم لم يدفعوا لك؟

- بإمكانك تفسير الأمر بهذا الشكل.

تنهدت روزا بصعوبة، ثم قالت: «أنا آسفة لأنني أضعت وقتك».

قال ليام: «آه، لا تقولي هذا!».

فجأة غير رأيه تجاهها من جديد، وتابع يقول: «لقد منحتني بالتأكيد تسلية مفرحة في ذلك اليوم المزعج».

- أنا سعيدة لأنني جعلتك تستمتع بوقتك.

بدا صوت روزا خشناً، لكن حين دفعت نفسها للوقوف أمسك ليام بركبتها ليمنعها من النهوض قائلاً: «لا ترحلي!».

بدأت روزا ترتجف. لكن حين اتسعت عيناها بارتباك تابع يقول: «السيدة ويلسون ستحضر القهوة قريباً».

شعرت روزا بجفاف في فمها. بالرغم من كل شيء، أدركت أن هذا هو السبب الحقيقي الذي دفعها للعودة إلى القصر. آه! بالطبع، هي أرادت أن تتكلم معه بشأن صوفي، لكنها لم تأمل بالحصول على معلومات مفيدة بهذا الخصوص. أما ما أرادت أن تتأكد منه فعلاً فهو إن كان الانجذاب الذي شعرت بوجوده بينهما حقيقي أم من نسج خيالها.

لم تشعر روزا الآن أنه من نسج الخيال، فلمسة يده فوق ركبتها بدت ساحرة، وحين رفعت رأسها لتنظر إلى عينيه رأت فيهما انعكاساً لمشاعرها الخاصة.

يا إلهي! إنه يشعر بالانجذاب نحوها! تمنت روزا لو أنها تملك ولو فكرة أولية عما ستفعله حيال الأمر.

سمعا طرقة على باب الغرفة في الوقت المناسب. ترك ليام روزا على الفور ووقف بسرعة ليجد أن مدبرة المنزل قد أحضرت صينية القهوة إلى الغرفة.

تمتمت السيدة ويلسون وهي ترمق روزا بنظرات سريعة: «قال سام إنك طلبت القهوة. أين تود أن أضعها؟».

زمّ ليام شفتيه بسبب عدم تصرف المدبرة بشكل سريع وعملي، ثم أومأ نحو الطاولة المنخفضة بين الأريكتين وقال: «ضعيها هناك».

تساءل إن كانت مقاطعتها لهما أمر مقدر لجعله يعود إلى رشده. وضعت السيدة ويلسون الصينية ووقفت مستقيمة، فقال لها: «شكراً».

أغلقت مديرة المنزل الباب خلفها، وكي لا يبدو الوضع غريباً، عاد ليام إلى الجلوس من جديد بجانب روزا، لكنه تجنب النظر نحوها حين قال: «تفضلي! تناولي فنجانك».

لم تتحرك روزا من مكانها. حدقت ببطء في الصينية لعلها تستوحي جواباً منها. رأت ركوة من القهوة الساخنة مع كوبين من الخزف وإبريق من القشطة وعلبة سكر. إنها صينية قهوة عادية، لكنها عكست البرودة التي بدأت تراها في ليام الآن.

- لست أرغب بتناول القهوة. أعتقد أن من الأفضل أن أغادر.

تصلب فك ليام، وقبل أن يتمكن من منع نفسه سألها: «هل تريدين حقاً الرحيل؟».

أدارت روزا وجهها وقالت بضعف: «لا أعلم».

ابتسم ليام، ونسي تماماً ما قاله لنفسه منذ اللحظة الأولى التي وقع نظره فيها عليها. حرك يده ووضعها خلف رقبتها، وقبل أن يتمكن من تغيير رأيه جذب روزا نحوه.

اقتربت روزا منه بإرادتها بشكل لم يتوقعه ليام. أراد أن يبقي العلاقة بينهما محدودة، لكنها بتصرفها هذا لم تترك أمامه خياراً. اقترب منها من دون أن يفكر.

بدت جذابة ومليئة بالحيوية. مرر ليام يده فوق ظهرها، فاقتربت روزا منه أكثر. أصبحت الآن قريبة جداً ورائعة جداً. ضمها ليام بين ذراعيه وعانقها...

في الواقع هو لم يكن ينوي القيام بذلك، وهو لا يرغب في التورط مع امرأة بالكاد يعرفها. كما أنها لا تعرف شيئاً عن الندوب المخيفة المتوحشة التي تغطي جسمه والتي يخفيها تحت ثيابه المتمدنة. ألم يكفه الثمن الذي دفعه سابقاً؟ ألم يتعلم بعد أنه لا يمكن الوثوق بالنساء؟ إن لم يكن يريد أن يخيفها حتى الموت عليه أن يتوقف هنا.

لكن روزا لا تعلم شيئاً بخصوص مأساته الشخصية، وبالرغم من أنها

تعرف أن هذا العناق لن يؤدي إلى أي علاقة بينهما إلا أنها بدت مستعدة لتقبل كل ما يقدمه لها ليام. كما أن زواجها من كولين والآلام التي عانت منها حين اكتشفت أنه يخونها بدت لها فجأة كذكرى قديمة جداً. لم يجعلها كولين يوماً تشعر بما تشعر به الآن. أدركت روزا أن علاقتهما لم تكن يوماً ملائمة ومليئة بالعاطفة

تحركت قليلاً، فوضعت يدها خلف عنقه لتلامس شعر رقبته. بدا لون شعره رمادياً لكنه كثيف وقوي.

أحس ليام أن قدرته على كبح رغباته تتلاشى تدريجياً، وأن دمه أخذ يتدفق بسرعة في عروقه. أصبح عناقه أكثر تطلباً وعمقاً، وتزايد شعوره بالتوق إليها.

أفلت شعر روزا من عقدته، وأصبحت خصله تتدلى بين يدي ليام.

يا إلهي! علم ليام أنه تمادى كثيراً. لكنه لم يستطع التوقف. لون بشرتها ونعومتها ذكراه بندوبه المزعجة. قرب وجهه منها وهمس بالقرب من عنقها بصوت حزين: «لا يجدر بي القيام بهذا».

تسارعت أنفاس روزا وراح صدرها يتحرك صعوداً ونزولاً. شعرت بالألم يتزايد في داخلها بسبب أعصابها التي أصبحت متململة ومتوترة.

اعترضت قائلة: «إنه مجرد عناق».

لم تدرِ من أين أحضرت الشجاعة لقول هذا. يا إلهي! منذ بضعة أيام فقط كانت مقتنعة أنه لن يشعر بالانجذاب نحوها، وها هي هنا الآن تتصرف كما لو أن لها كامل الحق بأن تتقرب منه.

لم ينفِ ليام ما قاله من قبل، بل قال لها: «هذا لا يهم».

لكن حين وضع يديه على جانبي الوسادة حول رأسها ليبقي وجهه على مسافة من وجهها لم تدعه يبتعد.

ضمت وجهه بيديها وأجبرته على النظر إلى عينيها، ثم قالت: «بل يهم! أنا لا أتوقع ارتباطاً يدوم طوال العمر، لكنني فقط أريد... أن تعانقني. هل هذا أمر خاطئ؟».

- ليس خاطئاً . . .

- ماذا إذاً؟

تمتم يقول: «أنت لا تفهمين. أنا لست كما تتوقعين».

تمكن الآن من الابتعاد عنها.

نظرت روزا نحوه بعينين ضيقتين، وقالت: «إن كنت تريد أن تخبرني بأنك لست طبيعياً فـ. . .».

- أنا لست مصاص دماء. لكن اسمعي كلامي. لن ينجح هذا الأمر.

- ليس من الضروري أن ينجح.

حاولت روزا الجلوس بشكل مستقيم، ثم قالت: «أنا معجبة بك ليام. أعجبت بك مذ رأيتك على السفينة. أنا أعلم أنني لست ساحرة أوفاتنة، لكنني اعتقدت. . . أنا حقاً اعتقدت أنك معجب بي أيضاً».

- أنا معجب بك فعلاً، لكن لا علاقة لهذا بما يدور بيننا الآن. السبب يتعلق بي. . . بي وحدي.

شعرت روزا أن ما حدث بينهما صادق وحقيقي. بإمكانها أن تكتشف متى يتصرف الرجل بصدق، لكنها لم تفهم ما الذي يجري. لم تصدق حتى نصف ماقاله ليبرر نفسه. حصل أمر ما جعله يغير رأيه بها!

هل خشي أن تطلب منه أمراً لن يتمكن من تنفيذه؟

أرادت أن تقول شيئاً ولو للمرة الأخيرة كي تحافظ على جزء من احترامها لنفسها. كتفت يديها حول جسدها كما لو أنها شعرت فجأة بالبرد، وقالت: «الأمر دائماً يتمحور حولك. أليس كذلك سيد جايمسون؟ أتعلم أنك أناني جداً؟ أنت أولاً وأنت أخيراً. كل شيء يجب أن يكون كما تريده أنت».

جعلته قسوة كلماتها يشعر بالذهول. إنه يفكر بها بحق السماء! وبنفسه أيضاً كما اعترف في سره. فكر بما سيكون عليه شعوره حين ترى ندوبه البشعة وتخرج هاربة بسرعة، لكنه فكر أكثر بها. أراد أن يوفر عليها رؤية البشاعة التي سببها له ذلك المعتدي. لن يخطر ببالها أنه يرتدي دائماً قميصاً

ذات كمين طويلين لأن ذلك الرجل كاد يمزق يديه إلى شرحات.

أدرك أنه قد يندم لاحقاً على ما سيفعله، لكنه وقف على قدميه وواجهها. نظرت روزا إليه بحذر، وفجأة رأته يمزق قميصه أمام عينيها، فتناثرت الأزرار على الأرض. لم يكترث ليام حين أدرك أنه مزق القميص، ففي تلك اللحظة كل ما أراده هو جعلها ترى السبب الذي جعله يقول ذلك لها.

وقفت روزا وقد علقت أنفاسها في حنجرتها، بينما أنزل ليام القميص عن كتفيه ورأت الندوب فوق ذراعيه وصدره. لقد اعتدى أحدهم عليه بالسكين! فكرت روزا أنه بلا شك رفع ذراعيه كي يحمي نفسه.

إذاً، أهذا ما كان يخفيه؟ بدت الندوب قديمة وهي تتماثل إلى الشفاء، لكن لاشك أن الذكرى لاتزال قوية عليه.

آه، يا إلهي! شعرت روزا بالخجل لأنها جعلته يعاني بسببها، لاسيما أنها اتهمته بأنه يعيش حياة ساحرة. لكن هل يعتقد حقاً أن مظهره سيجعلها تتراجع؟ إنها تشعر بالخجل بسبب ما قالته هي لا بسببه، بحق السماء!

أرادت أن تطمئنه، فقالت: «أنا. . . لم أكن أعلم. أنا آسفة ليام. أنا. . .».

- ليس بقدر ما أنا آسف، لكن كما تقولين أنت لم تعلمي بهذا. أعتقد أنه عذر مقبول. لكنك الآن أصبحت تعلمين، لذا أريد منك أن ترحلي. سأطلب من سام مرافقتك.

أدخل ذراعيه في كمي القميص من جديد، ورتبها فوق كتفيه.

- لكن، ليام. . .

اقترب من الباب وهو يقول: «لا تفعلي! صدقيني، حصلت على التعاطف الكافي بالنسبة لي».

فكرت روزا بما حدث طيلة طريق العودة إلى النزل. لم تفكر بالأمطار أو بالانزلاق أو بوجوب أن تبقى حذرة كي لا تغرق في أحد المستنقعات. لم تعنِ سلامتها شيئاً لها في هذه الأثناء. حتى إنها لم تلاحظ قساوة المقود. كل

ما تمكنت من التفكير به هو وجه ليام حين خلع قميصه كي يريها ندوبه. لم تعتقد أنها ستنسى يوماً العذاب الذي ظهر في عينيه.

لم تشعر روزا بتوقف الأمطار إلا بعد أن ركنت السيارة أمام النزل. حتى إن الرياح بدت خفيفة، وتمكنت في الواقع من السير عبر الممر إلى الباب من دون أن تخشى أن تدفعها الرياح فتوقعها أرضاً.

لكن حقيقة أن العاصفة بدأت تهدأ لم تفرحها. ستأتي السفينة، وستغادر الجزيرة ولن ترى ليام من جديد.

سألتها السيد فيرغون حين رأتها في قاعة الاستقبال في النزل: «هل كل شيء بخير؟».

قطبت المرأة حاجبيها حين رأت كم تبدو روزا شاحبة.

- نعم... نعم كل شيء بخير. شكراً على السيارة، لكن علي أن أدفع ثمن الوقود.

لم يكن باستطاعة روزا أن تناقش الموضوع بالطبع.

- آه! هذا ليس ضرورياً. لن آخذ ثمن الوقود القليل الذي صرفته. كما قلت لك قبل أن تغادري، أنت قدمت خدمة جيدة للسيارة لأنك جعلتها تخرج من هنا. حين كان زوجي حياً كان يحب الذهاب لمشاهدة العصافير حول الجزيرة، لكنني قلما استخدمت السيارة منذ أن توفي.

ابتسمت روزا، وقالت: «أنت لطيفة جداً. يبدو... أن الطقس بدأ يتحسن».

حدقت السيدة إلى الخارج ووافقتها قائلة: «نعم. لكنك تبدين شاحبة آنسة تشانتري. هل أنت واثقة أن الطريق لم تكن متعبة بالنسبة لك؟».

متعبة!

حاولت روزا إخفاء التشنج الذي ظهر فوق عنقها.

- أنا... معتادة على السيارات التي تملك نظاماً جديداً لعمل مقود السيارة.

أملت أن يكون كلامها كافياً للمرأة.

بدت السيدة فيرغون متفاجئة: «نظام يسهل عمل المقود؟ ماذا تعنين بهذا؟».

تمنت روزا لو أنها لم تقل ذلك. شرحت لها من دون أن تدخل في التفاصيل: «آه... ! إنه فقط يسهل عمل المقود».

بعد ذلك توجهت مباشرة عبر الدرج إلى غرفتها.

www.elromancia.com

١٠ - رجل في متاهة

مرت بقية النهار بسرعة.

بعد أن رفضت روزا دعوة السيدة فيرغون إلى الغداء تساءلت إن كانت ستعود إلى طبيعتها مجدداً. بدا ما حدث في الصباح أمراً لا يصدق. هل شعرت حقاً بالانجذاب نحو رجل بالرغم من عدم رغبته في التقرب منها؟

إنها ببساطة ليست من هذا النوع من النساء. زواجها بكولين فيسنت وخيانته لها جعلاها مشككة بكل ما يتعلق بالرجال. لكنها منذ البداية لم تشعر بذلك تجاه ليام، ربما لأنها لم تتوقع أن يكون منجذباً إليها.

أما الآن، فبالكاد عرفت ما الذي يشعر به نحوها، إلّا أن ما يشعر به لا يكفيه ليثق بها. تمنت روزا لو أنها حظيت بالفرصة لتقنعه أنها لا تكترث لندوبه. أهذا هو سبب سكنه هنا على بعد أميال من الأشخاص الذين يتعامل معهم؟ تمنت روزا لو أنها تعرفه أكثر... تمنت لو أن بإمكانها أن تريه أنها...

ماذا؟

ارتجفت روزا فجأة. بماذا تفكر بحق السماء؟ إنها ليست مغرمة به. ربما تشعر بالانجذاب نحوه وبالأسف على الطريقة التي غادرت بها القصر، لكنها بالكاد تعرف الرجل. وهي بالتأكيد لا تعرفه بما يكفي لتقع في حبه.

لكن ذلك لم يمنعها من الشعور بالأسف على ما حدث. كما أنها لا تعلم كيف ينظر ليام نحوها. هل يعتقد مثلاً أنها معتادة على هذا النوع من التصرفات؟

إنها ليست كذلك بالطبع!

ارتجفت روزا مجدداً. لم تستطع أن تتذكر أنها تصرفت على هذا الشكل المخجل من قبل، حتى مع كولين. لكن ما كانت تشعر به تجاه كولين مختلف تماماً، وهذا أمر آخر شعرت روزا بالأسف من أجله.

لكن... هل طلبت من ليام حقاً أن يعانقها؟ هل وعدته حقاً أنها لن تطالبه بارتباط طويل الأمد بل كل ما تريده هو أن يعانقها؟

اشتعل وجهها بسبب هذه الذكرى، واشتعل أكثر لأنها قصدت ذلك فعلاً ولاتزال تفكر به. إنها تتوق إليه وتريد البقاء معه. شيء ما جعلها تفكر بأنها تجربة لم تكن لتنساها أبداً.

لكن ذلك لن يحدث. تأكد ليام من عدم حدوث ذلك. ليس فقط جسدياً، فندوبه الجسدية بدأت تتعافى لكن ما يقلق روزا هي الندوب النفسية التي يحملها في قلبه.

إحساسه بتلك الندوب لم يتغير منذ أن تعرض للاعتداء حتى الآن، وهو الذي جعله يبتعد عنها. بالطبع روزا ليست محللة نفسية لكنها بدت متأكدة أن هناك شخصاً آخر أيضاً مسؤول عن شعور ليام بضرورة حماية نفسه. لاشك أن أحدهم سبب له الأذى النفسي، ولم تعتقد روزا أنه المعتدي نفسه.

إذاً من هو؟ لابد أنها امرأة ما... امرأة مميزة. امرأة وقع في حبها، وكان يعتمد على دعمها له خلال محنته...

رن جرس الهاتف في الطابق السفلي ما جعل روزا تجفل. ليس لأنها تنتظر مكالمة لها، فليام لن يقوم بالاتصال بها مجدداً. لكن قلبها قفز من مكانه حين بدأت السيدة فيرغون تناديها: «اتصال لك آنسة تشانتري. إنها والدتك».

ماذا تريد الآن؟

شعرت بالانزعاج وهي تتجه إلى الأسفل كي تتلقى الاتصال. نعم، لقد سألت ليام عن الفيلم لكن لا ليس لديها معلومات إضافية لتقدمها لوالدتها.

حملت روزا السماعة، وحاولت إضفاء نبرة تفاؤل على صوتها: «مرحباً أمي! ستشعرين بالراحة لأن العاصفة بدأت تهدأ. سأغادر الجزيرة يوم

الاثنين».

بدت السيدة تشانتري متهاونة وهي تقول: «أحقاً عزيزتي؟ حسناً! هذا جيد. هل بإمكانك المجيء مباشرة إلى المنزل؟».

عبست روزا وقالت: «ظننت أنك تريدين مني الحصول على بعض المعلومات من ماليج حول...».

قاطعتها والدتها قائلة: «صوفي ليست في اسكتلندا».

وقبل أن تتمكن روزا من الاعتراض، تابعت تقول: «كانت في لندن، لكنها عادت إلى المنزل الآن».

شعرت روزا بالذهول: «في لندن؟».

لم تبدُ والدتها مسرورة في نقل الأخبار لها، لكنها قالت: «نعم. كانت برفقة رجل التقته في مهرجان البوب. أعتقد أنه موسيقي».

- أنت لا تتكلمين بجدية!

- بل أنا كذلك. أنا آسفة روزا.

- لكن... لماذا أخبرت مارك أنها في اسكتلندا؟

لا بد أن والدتها تفضل عدم متابعة الحديث، لكنها قالت: «لا أعلم، ربما لإبقائنا بعيداً عنها. علمت أنني سأشعر بالقلق عليها إن عرفت أنها برفقة عازف غيتار في فرقة ما مع ما يمكن أن يفعله أشخاص مثله كتعاطي المخدرات وغيرها».

ذكرتها روزا قائلة: «لكنك شعرت بالقلق أمي. يا إلهي! حين اتصلت بي ليلة السبت الماضي كنت مصابة بالهستيريا».

- آه، لا! لم أكن كذلك روزا... أنت تبالغين. كلتانا نعرف كيف هي صوفيا؛ إنها متهورة.

- إنها عديمة المسؤولية. هل هي هناك؟ دعيني أتحدث إليها.

- لا يمكنك ذلك.

وقبل أن تناقشها روزا عن السبب، تابعت تقول: «اتصل بها مارك منذ قليل وذهبت إلى منزله كي تحاول تصحيح الوضع معه».

- حسناً! سيبرهن أنه غبي إن صدق أي شيء مما ستقوله له. أنا لا أصدق أنك تسامحينها على أمر مماثل. لو قمت أنا عندما كنت في مثل سنها بأمر مماثل لعاقبتني لمدة شهر كامل.

شعرت روزا بالانزعاج. بحق السماء! أهي الوحيدة التي تملك القليل من الاتزان في العائلة؟

قالت والدتها بحزن: «حسناً! ليس من المجدي أن أقوم بمعاقبتها. ستذهب إلى الجامعة قريباً، وإن كنت قاسية معها لن تعود أبداً إلى المنزل».

- آه... أمي! لا يجدر بك أن تدعيها تستغلك. لقد هربت مع موسيقي... مع رجل التقته صدفة ولا تعرف عنه شيئاً. من المحتمل أن يكون من مروجي البغاء.

- آه، روزا!

انتظرت قليلاً، وعندما لم تجب روزا أضافت بحزم: «على أي حال، لقنتها هذه التجربة درساً. قالت لي إنه تخلى عنها لأنها رفضت الذهاب معه إلى السرير».

آه! لم تصدق روزا شيئاً من هذا الكلام. لكنها قالت: «هل أخبرتك لماذا ذهبت معه أساساً؟».

- آه! يبدو أنه أخبرها بأنه سيعرفها على أشخاص مشهورين. ما كان عليها أن تصدقه. قلت لها ذلك.

- ألم تخبرك ما دخل جايمسون بالموضوع؟

ترددت والدتها، ثم قالت: «آه... حسناً! أعتقد أنه ذنبي أنا».

شعرت روزا بالارتباك الآن.

- ذنبك أنت؟! ماذا تعنين بذلك؟

من الواضح أن السيدة تشانتري كانت تفتش على الكلمات.

- حسناً...! من الواضح أنني قفزت إلى الاستنتاجات الخاطئة.

- لا أفهم ماذا تقصدين.

تنهدت والدتها وقالت: «لا. لن تفهمي».

صمتت من جديد، ثم تابعت تقول: «حسناً! تعرفين أن صوفي تحب كتب ليام جايمسون كثيراً».

- نعم.

- وتعرفين أنها تتمنى دوماً أن تصبح نجمة أحد أفلامه.

- أنت تمزحين!

- لا! لا، لست أمزح. قالت لي ذلك آلاف المرات. و... عندما قال مارك إنها هربت إلى اسكتلندا مع رجل التقته في مهرجان البوب...

- لا أصدق هذا!

- لكنها... لكنها الحقيقة. قال مارك إن هذا الرجل وعدها بتعريفها على أشخاص مشهورين...

- وأنت جمعت اثنين مع اثنين وحصلت على خمس عشرة! أمي لِمَ لم تخبريني بهذا قبل أن أغادر؟

- هل كنت لتسافرين إلى هناك لو أخبرتك؟

أخرجت روزا نفساً عميقاً، ثم قالت: «ربما لا!».

- على الأرجح لا. أنا أعرفك روزا. لو عرفتِ أنني أتبع توقعاتي فقط لما وافقتِ على زيارة ليام جايمسون.

فكرت روزا أن هذا صحيح! مع ذلك شعرت بألم بسيط في أعماقها. قالت بكآبة: «آه، أمي! ليتك أخبرتني الحقيقة من قبل».

- هل ستخبرينني الآن كم أنا غبية؟ ظننت أنك ستفرحين حين أخبرك بعودة أختك إلى المنزل سليمة، لكن كل ما فعلته هو التذمر مني ومنها.

علمت روزا أن من السخافة أن تشعر بالحزن على نفسها بسبب كلام أمها، فلطالما كانت أمها غير منصفة بحقها. إنها في الثانية والثلاثين من عمرها، بحق السماء! لكن عينيها امتلأتا بالدموع بالرغم من ذلك. لم تقم روزا يوماً بالتذمر من أي شيء، أما أختها صوفي فهي أنانية وأمها ترفض رؤية ذلك.

تمنت روزا ألا يظهر الأسى في صوتها وهي تقول: «من الأفضل أن أقفل

الخط الآن. على الأرجح أن السيدة فيرغون تريد استخدام الهاتف».

ذلك لم يكن صحيحاً بالتأكيد. فباستثناء هذا الاتصال لم تسمع روزا الهاتف يرن ولو مرة واحدة منذ وصلت إلى النزل. من الواضح أن الناس في كيلفويل يفضلون التحدث إلى بعضهم وجهاً لوجه.

- حسناً! أتوقع حضورك إلى المنزل قريباً إذاً. انتبهي لنفسك.

- وداعاً.

وضعت روزا سماعة الهاتف مكانها ومررت يدها فوق عينيها. لن تبكي الآن، على الرغم من شعورها بأن هذا النهار يسير من سيء إلى أسوأ. عليها أن تركز على المستقبل للعودة إلى شقتها الصغيرة في ريبون، لكنها فجأة بدت بعيدة جداً. ستفتح المدارس أبوابها بعد أسبوعين، وسيكون عليها البدء بتحضير الدروس.

* * *

ينزل ليام دائماً في فندق موريارتي حين يذهب إلى لندن. إنه فندق صغير لا يعرفه إلّا قلة من الناس، ومعظمهم مثله تماماً يحجزون جناحاً هو عبارة عن مجموعة من الغرف لمدى عام كامل كي يكون متوفراً كلما احتاجوه.

فكر ليام وهو يقود سيارته جنوباً عبر الطريق السريع أن هذه هي إحدى حسنات النجاح. بإمكانه البقاء هناك من دون أن يعلم أحد بوجوده، وهذا يناسبه تماماً.

إنه لا يتوقع البقاء لأكثر من يومين في لندن. عليه أن يذهب بعد ذلك لقضاء بضعة أيام في عيادة إرسكين ليتابع علاج رجله.

منذ شهر آب حين خرج مع الكلاب في العاصفة وهو يشعر بالمزيد من الألم في فخذه. فكر الطبيب المحلي أنه ربما أصيب بتمزق عضلي وأن من الأفضل ألا ينتظر كي تشفى من تلقاء نفسها، فهذا أمر قد يؤخر كثيراً تماثلها للشفاء. لذا أجبر ليام نفسه على متابعة العلاج بسرعة.

بالطبع فكر سام أن ليام مجنون لأنه سيقود السيارة إلى لندن، لذا نصحه أن يستخدم الطائرة بدلاً من ذلك. لكن استخدام الطائرة يعلن بشكل

واضح عن وصوله إلى لندن، وهو أمر لا يرغب به ليام.

غادر ليام اسكتلندا منذ فترة، والآن أصبح على بعد أميال قليلة من بنريث، وهو يتجه نحو منطقة الخدمة في تباي. قد يتوقف هناك لتناول فنجان من القهوة، ويحظى بفرصة ليريح ساقه وينظر إلى الخريطة أيضاً بالرغم من أنه لم يكن يشعر بحاجة لذلك، فالطريق واضحة أمامه ومألوفة. إنه جنوب الشارع م٦ الذي يبعد قليلاً عن الشارع م٥. عليه التوجه شرقاً نحو الشارع م٤. حتى يصل إلى ضواحي لندن. ليس هناك أسهل من ذلك.

ركن ليام السيارة بجانب مبنى الخدمات في تيباي، ودخل ليشتري القهوة. بعدئذٍ حمل الكوب وعاد إلى السيارة ثم أمسك الخريطة.

بقي أمامه أقل من ميل ليصل إلى المنعطف الاسكتلندي. حسناً! عليه أن يصل أولاً إلى كيبي ستيفن إلا أن هذا الشارع يتقاطع مع الشارع أ٦٦ من الشرق وهذا الأخير يتقاطع بدوره مع الشارع أ١ عند المنعطف الاسكتلندي. على بعد ٢٠ ميلاً إلى جنوب المنعطف تقع سوق بلدة ريبون الصغيرة في مقاطعة يوركشاير.

ريبون!

ابتلع ليام القهوة وسرعان ما أجفل بسبب طعمها المر. لماذا يريد الآن أن يعرف كيف يصل إلى ريبون؟ حسناً! لقد عرف من السيدة فيرغون أن روزا تشانتري تعيش هناك... وماذا إذاً؟ مرّ شهران منذ رآها، وبعد الطريقة التي تعامل بها معها شك ليام أن ترغب برؤيته من جديد.

لم يعرف لما لا يزال يفكر بها! إنه ناضج بما فيه الكفاية، ولا يمكنه أن يفسر ما حصل بينهما على أنه أمر أبعد من الانجذاب الحسي. لقد أرادها، نعم. لكن الخبرة علمته أنه لا يستطيع دائماً الحصول على ما يريده. لا شك أنها شعرت بالرعب حين رأت الندوب البشعة تحت قميصه... هي لم تر الأسوأ بعد. من حسن حظه أنه لا يزال على قيد الحياة.

حاول أن يبرر اهتمامه بها بأنه قلق بشأن أختها. هل تمكنت من إيجادها؟ هل هي بخير؟ بالتأكيد هي كذلك. بحث ليام على شبكة الإنترنت

وقرأ في صحف ريبون، ولم يجد أي خبر يتعلق باختفاء صوفي تشانتري. أينما كانت في تلك الفترة فهي لم تحدث أي ضجة وهذه إشارة جيدة.

أمل ذلك من أجل روزا. لو لم يلتقِ بروزا لما كان ليصدق أن هناك فتاة في هذا العصر قد تتصرف كما تصرفت أختها فتهرب برفقة رجل غريب، بالرغم من كل التحذيرات التي يعرفها الجميع حول خطورة هرب الفتيات مع شبان غرباء. لا شك أنها إما ساذجة جداً أو مجنونة. تذكر ليام كلام روزا، وتوقع أن يكون السبب هو الغباء.

لفّ ليام الخريطة وأعادها إلى علبتها، ثم جلس قليلاً ليكمل القهوة. ماذا سيفعل الآن؟ هل سيعود إلى الطريق السريع ويقود سيارته إلى لندن كما قال لسام، أم أنه سيغير طريقه نحو الشمال الشرقي؟

فكر ليام قليلاً، ثم حدق في ساعته. إنه أحد أيام الثلاثاء من شهر تشرين الأول والساعة الآن هي الثالثة بعد الظهر. ستصبح الساعة الخامسة قبل أن يصل إلى ريبون إن كان ينوي الذهاب إلى هناك. كيف له أن يعلم أنها في المنزل وليست في العمل؟ أو أنها بمفردها؟ هل سيقوم بالمجازفة ولو ندم عليها لاحقاً؟ علم ليام الجواب على الفور. رمى فنجان القهوة الفارغ في سلة المهملات. إن لم يرَ روزا مجدداً فلن يعرف كيف يشعر تجاهها فعلاً.

من الجيد أن حركة السير لم تكن كثيفة، لذا وصل إلى ريبون عند الساعة الخامسة والربع. التقى بالعديد من السيارات المغادرة من هناك. إنها على الأرجح سيارات الموظفين الذين يتركون المنطقة كل مساء. الآن كل ما عليه فعله هو إيجاد شخص يرشده إلى شارع ريشموند.

رأى ليام رجل الشرطة يقف في الشارع الضيق أمام الكاتدرائية. بالرغم من وجود الخطوط الصفراء على الأرض والتي تمنعه من الوقوف، توقف ليام أمامه. فتح نافذة المقعد المجاور ثم انحنى ليسأله: «أنا أبحث عن شارع ريشموند. هل باستطاعتك مساعدتي؟».

أراد الشرطي أن يقول له إن هذه ليست منطقة مخصصة للتوقف، لكنه شعر بالشفقة عليه فقال: «شارع ريشموند؟ نعم. لقد مررت عبره للتو.

بإمكانك الوصول إليه عبر شارع وينستون».

أطلق ليام شتيمة. إنه شارع ذو اتجاه واحد. فهم الآن أن وسط البلدة هو عبارة عن متاهة من الشوارع المتشابهة. كيف بحق السماء سيتمكن من معرفة المكان الآن؟

اقترح الشرطي قائلاً: «من الأفضل أن تركن السيارة وتعود مشياً. بإمكاني إعطاؤك إرشادات العودة، فزحمة السير بعد الظهر...».

- نعم، فهمت.

هزّ ليام رأسه بسرعة، وأقفل النافذة من جديد. تساءل إن كان يتصرف بغباء، ثم قاد السيارة نحو السوق القريبة من الساحة. من المحتمل أنه يتكبد هذا العناء كله كي يجد امرأة غير مستعدة للتكلم معه. لم يجرؤ ليام على التفكير بما سيقوله سام حين يعرف بالأمر.

أخيراً وجد موقفاً للسيارات. ولأن معظم الناس كانوا يغادرون إلى منازلهم لم يجد صعوبة في إيجاد مكان للسيارة. أحضر ليام معطفه الصوفي من المقعد الخلفي، ثم أقفل السيارة ووضع المفتاح في جيبه. أدخل يديه في جيبي معطفه، وتوجه نحو الكاتدرائية.

سمع صوت الجرس فأدرك أن الساعة أصبحت الخامسة والنصف. استغرق منه التفتيش عن منزلها وقتاً أكثر مما استغرقته الطريق من المنعطف الاسكتلندي إلى ريبون، ولا يزال أمامه خمس ساعات كي يصل إلى لندن إن كان ينوي متابعة سيره هذا المساء.

من حسن حظه أن المطر لم يكن يتساقط بالرغم من برودة الطقس. هبت الرياح عبر الشوارع الضيقة، وتصلبت قدمه بسبب المشي والبرد. فكر أنه كان عليه البقاء في سيارته، فالمشي في حالته أمر جنوني. ذلك كله من أجل رؤية امرأة بالكاد يعرفها!

وجد ليام شارع ريشموند بسهولة. كان لا يزال هناك بعض الضوء كي يرى الرقم ٢٤ نظر إلى الورقة التي وضعها في جيبه والتي كتب عليها ٢٤ ب. لكنه لم ير ٢٤ ب ولا حتى ٢٤ أ. هل يعقل أنها أعطت السيدة فيرغون

عنواناً كاذباً؟

عبس ليام ثم قرر أن الحل الوحيد أمامه هو أن يقرع جرس الشقة ٢٤. فتح البوابة الرئيسية ومشى عبر الممر ثم رأى الهاتف الداخلي على الحائط بجانب الباب. يبدو أنه لم ير الأرقام بوضوح منذ البداية بسبب العتمة. من الواضح أن ٢٤ب هو رقم شقتها تماماً، كما يوجد شقة تحمل الرقم ٢٤ أ.

نظر إلى الأعلى فرأى نوراً يوضح وجود أحدهم في المنزل، لكنه لم يعلم إن كانت تلك الشقة ٢٤أ أم ٢٤ب. عليه أن يدق جرس شقتها كي يتأكد.

- نعم.

لم يخطئ ليام في معرفة صوت المرأة التي ردت عليه، إلّا أنه شعر بالانزعاج من الطريقة التي تحركت بها أعصابه وقلبه بسبب ذلك الصوت. ماذا به بحق السماء؟ حتى كايلا لم تجعله يشعر على هذا النحو من قبل.

قال فجأة بصوت أجش: «روزا؟ هذا أنا... ليام جايمسون. هل بإمكاني الدخول؟».

ساد الصمت قليلاً. تساءل ليام ماذا بإمكانه أن يفعل إن رفضت التحدث إليه. هل يكسر الباب؟ تمنى ألا يضطر إلى أخذ قرار مماثل.

- ادفع الباب.

قالت روزا ذلك أخيراً. شعر ليام بالارتياح ما إن سمع صوت الجرس الذي فتح البوابة من الداخل.

بدا المكان مظلماً في الداخل، لكنه تمكن من إيجاد الدرج الذي يوصل إلى الطابق الأول.

يبدو أن روزا توقعت أنه لن يكتشف أي شقة هي شقتها، لذا أنارت مصباح الدرج ووقفت تنتظره. رأى ليام ضوءاً ينير الدرج فجأة من الأعلى، وسرعان ما رأى روزا تقف عند أعلى الدرج وتنظر نحوه. وبعد أن أخذ نفساً عميقاً أغلق الباب خلفه ومشى نحوها.

بدت مختلفة، وأدرك ليام أنها قصت شعرها. أصبح يصل الآن حتى كتفيها. لا تزال خصلاته متجعدة لكنه بدا أكثر نعومة وحيوية. ارتدت روزا

سروالاً أسود وقميصاً خضراء اللون من الحرير انزلقت عن كتفها قليلاً. فكر أنها تبدو جميلة بالنسبة لكونها تقضي السهرة بمفردها كما يبدو وهي تشاهد التلفزيون.

تصلبت رجله وهو يصعد الدرج، ولم يتمكن من الحراك للحظة. تمنى ألّا تلاحظ ذلك. قال بحزم: «آسف إن كنت أتطفل عليك».

عبست روزا وكان متأكداً أنها ستعلق على عدم قدرته على الحراك، لكنه تمكن أخيراً من تحريك رجله فابتعدت روزا من طريقه عبر الباب خلفها.

- أنت لست متطفلاً. تفضل ادخل!

١١ - أريدك أنت

- شكراً.

شعر ليام بالارتياح حين وصل إلى أعلى الدرج. تصور أنه لم يعد باستطاعته تسلق درجة واحدة أخرى، وتساءل كيف بحق السماء سيتمكن من العودة إلى المكان الذي ترك فيه سيارته؟ ربما سيطلب سيارة أجرة. لكنه كان متأكداً أنه لن يستطيع قطع المسافة في طريق العودة مشياً على قدميه في هذا الليل.

في هذه الأثناء تساءلت روزا ما الذي يفعله ليام هنا. حاولت إقناع نفسها أن ليس للأمر علاقة بما حدث بينهما قبل أن تغادر القصر، لكن ما السبب الآخر الذي قد يأتي من أجله؟

لاشك أنه حصل على عنوانها من السيدة فيرغون. استطاعت روزا أن تتخيل صدمة تلك السيدة حين طلب منها العنوان. لابد أنها تساءلت لما لم يسأل ناشر كتبه عن عنوانها، إلا إن كان ليام قد أخبرها الحقيقة.

دارت الغرفة بروزا فيما وقفت تراقب ليام وهو يدخل. بدت الغرفة مريحة، فهي عبارة عن غرفة جلوس وغرفة طعام في الوقت نفسه، لكنها بدت رثة ولا تشبه مطلقاً فخامة منزل ليام.

أزاحت بعض الأغراض التي كومتها فوق كراسي غرفة الطعام وأبعدت مجلة عن إحدى الأرائك، ثم قالت: «لِمَ لا تجلس؟».

بعد أن لاحظت الطريقة التي صعد بها الدرج تابعت تقول: «تبدو... متعباً».

- تقصدين مهزوماً.

www.elromancia.com

قال ليام ذلك بجفاف، لكنه بالرغم من ذلك شعر بالارتياح حين جلس فوق الأريكة. تابع يقول: «جسمي متشنج قليلاً هذا كل ما في الأمر. أنا أقود السيارة منذ الصباح».

فتحت روزا عينيها من الدهشة، وقالت: «لكنه يوم الثلاثاء!».

- ماذا إذاً؟

- اعتقدت أن السفينة لا تنطلق من الجزيرة إلا يومي الاثنين والخميس.

ثم هزت رأسها وقالت: «آه! لا شك أنك أتيت بطائرتك».

رمقها ليام بنظرة متفحصة، وقال: «كيف عرفت أنني أملك طائرة؟».

- أخبرتني السيدة فيرغون. عندما... عندما علقت في الجزيرة، اقترحت علي أن أطلب مساعدتك.

- آه! السيدة فيرغون لطيفة جداً، لكنني آسف لتخييب ظنك. لقد أمضيت ليلة أمس عند جاك ماك لود.

- من؟

لم تسمع روزا بهذا الاسم من قبل.

- الرجل الذي كنت أتحدث إليه قبل أن نستقل السفينة إلى الجزيرة. أم أنني الوحيد الذي يتذكر ذلك؟

وضع ليام يديه في جيبيه، واستلقى على الأريكة إلى الخلف.

رطبت روزا شفتيها وقالت: «لا. لا. أنا أتذكر. هل هو صديق لك؟».

- إنه صديق وفي يعيش في ماليج. وعندما اشتريت الجزيرة عرض علي أن يعرفني على الأشخاص الذين قد أحتاجهم لأقوم بترميم القصر والمزرعة. كان جداه يعيشان في كيلفويل، وقد قدم لي الكثير من العون وبقينا صديقين.

- آه! فهمت. أعتقد أن السيدة فيرغون هي من أعطتك عنواني. أليس كذلك؟

- نعم. أتمنى ألّا تمانعي.

نظر ليام نحوها من تحت رموش قد تموت أي امرأة من أجلها.

- لِمَ قد أمانع؟

أدركت روزا أنها لاتزال تحمل المجلة منذ وصوله. قطعت الغرفة لتضعها في الدرج قبل أن تذهب لتطفيء نار المدفأة إذ بدت الغرفة لها فجأة دافئة جداً. سألته وهي لاتزال تدير ظهرها له: «هل أحضر لك شيئاً... شراباً ما؟».

- العصير يبدو جيداً

لم يكن فعلاً يرغب بشيء في تلك اللحظة. بدأ ألم رجله يخف، وآخر ما يريده هو السير عليها من جديد.

- هـمم... هل وجدت أختك؟

وقفت روزا باستقامة، ثم التفتت نحوه، أجابت: «كانت في لندن حين عدت من الجزيرة. تبين أنها كانت في لندن طيلة الوقت».

- لندن؟ ما الذي كانت تفعله هناك؟

- تتسكع برفقة موسيقي التقت به في مهرجان البوب. يبدو أنه تخلّ عنها لأنها رفضت مشاركته السرير.

نظر ليام بشك حيال ما قالت، فتابعت روزا تقول: «أعلم! هذا يسبب الذهول. أليس كذلك؟ لكن أمي تصدق كل ما تقوله صوفيا».

تنهدت روزا ثم قالت: «بإمكان صوفيا أن تلاعب أمي على أصابعها».

حدق ليام بها وسألها: «إذاً، ما كانت علاقتي بالموضوع؟».

احمرت وجنتا روزا قبل أن تجيب: «آه... ! إنه ذنب أمي. عندما أخبرها مارك صديق صوفيا أن صوفيا ذهبت إلى اسكتلندا مع رجل ما كي يساعدها على العمل في أحد الأفلام ذهب بها التفكير نحوك بسرعة».

- لماذا ؟

- حسناً! كما أخبرتك سابقاً، صوفيا من المعجبين بك. أعتقد أن أمي كانت بحاجة إلى التركيز على شخص ما.

- إذاً، أمك هي التي أرسلتك إلى كيلفويل؟

هزت روزا رأسها، وقالت: «هـمم... لكن صوفيا قالت إنها ستذهب إلى اسكتلندا. هذا الجزء صحيح».

هزّ ليام رأسه غير مصدق ما يسمعه: «هل بإمكاني أن أسألك عن السبب؟».

- ربما لتبعدنا عن الصورة الحقيقية. في الواقع، عندما أعيد التفكير بما حصل أدرك أنه كان غباءً مني أن أصدق أي كلمة مما قالته أمي. إنها نصف إيطالية لذا بدت في حالة من الهستيريا حين اتصلت بي لتخبرني. حسناً! الآن سأحضر لك العصير. هل هذا كل ما ترغب به؟

تقريباً! فكر ليام، لكنه أكد لها أن هذا كل ما يريده. مشت روزا بسرعة، وأدرك أنها تشعر بالتوتر. تساءل لماذا. هل تراها تنتظر شخصاً آخر؟ ربما رجلاً آخر...

أزعجته تلك الفكرة. يا إلهي! لم يصدق ليام كم كان يرغب برؤيتها من جديد. بالإضافة إلى شعوره بعدم الصبر بسبب ضعفه. تباً! لكنه لم يأت هنا من أجل الحصول على شفقتها. لقد أتى في الواقع ليختبرها، لكن ليس بتلك الطريقة.

صرّ ليام على أسنانه، ثم وقف على قدميه واتجه عبر الغرفة نحو الباب المفتوح. ألقى كتفه على حافته وقال: «هل تعيشين بمفردك؟».

قفزت روزا من الصدمة، فبعد أن رأت كم بدا متعباً توقعت أن يبقى جالساً فوق الأريكة. كانت قد أخرجت زجاجة العصير من الثلاجة وهي على وشك أن تفرغ محتواها في كوب من الزجاج، لكن ظهوره أذهلها.

- هـمم... نعم.

قبل أن تفرغ روزا العصير في الكوب قال لها: «لابأس! سأشرب من الزجاجة».

نظرت إليه مشككة، ثم قالت: «هل أنت واثق من هذا؟».

مدّ يده، فهزت روزا كتفها وناولته الزجاجة.

لم يتحرك ليام عن الباب. راقبته روزا بينما قرب الزجاجة من فمه وأخذ يشرب العصير.

تحركت عضلات عنقه وهو يشرب. رأت الندوب التي سبق أن لاحظتها عندما كانت في القصر، والتي بدت بنية اللون وعلى وشك التماثل للشفاء. شعرت روزا وهي تراقبه بذلك التوق الذي لم يكن مألوفاً لديها إلا بعد أن التقت به.

أخفض ليام الزجاجة فجأة واستدار لينظر نحوها، فشعرت كأن قدميها لن تحملانها أكثر. بدا من الصعب عليها أن تنظر بعيداً عن عينيه الخضراوين، وشعرت روزا كأن أنفاسها ستنقطع. قالت: «لِمَ لا تذهب لتجلس من جديد؟ لن تستمتع بشيء وأنت تقف».

وضع ليام الزجاجة فوق الطاولة، وقال: «هل تصدقين حقاً ما تقولينه؟ اقتربي مني».

ابتلعت روزا ريقها، وقالت: «هل تحتاج إلى المساعدة كي...».

أجابها ليام بغضب: «لا! أنا لا أحتاج إلى مساعدتك. ليس في هذا على كل حال».

ثم نظر نحوها بسخط، وتابع يقول: «فقط اقتربي مني. هل يمكنك ذلك؟».

ترددت روزا قليلاً، لكنها أخيراً ابتعدت عن الثلاجة واقتربت منه قائلة: «ماذا الآن؟».

ردّ عليها ليام بنعومة وهو يمسك معصمها ويقربها منه قائلاً: «كأنك لا تعرفين... عانقيني!».

شعرت روزا كأنها تترنح، فقالت: «ليام...».

- فقط قومي بذلك. تباً!

من دون أي كلمة إضافية اقتربت منه لتضع ذراعيها فوق كتفيه وتحيط عنقه بيديها.

مرر ليام يده في شعرها وهو يشعر بالاحباط، ثم قال: «أهذا كل ما

تستطيعين فعله؟ عانقيني بصدق. . . دعيني أرى أنك تعنين ذلك. لم أقد هذه المسافة كلها فقط كي تقدمي لي المشروب».

نظرت روزا نحو وجهه القوي وهي تكبح رغبتها في تمرير يدها فوق وجهه وقالت: «إذاً لماذا؟ أعني لماذا قدت كل هذه المسافة لتصل إلى هنا؟».

ضاقت عينا ليام، وقال: «احزري».

أخذت روزا نفساً عميقاً، وأجابت: «ألأنك أردت رؤيتي؟».

أصبحت تعابير وجه ليام ساخرة وهو يقول: «يالهي! روزا، لديك طريقة مختلفة فعلاً في تركيب الجمل!».

شعرت روزا بالحماس وهي تقول: «إذاً أخبرني أنت. لِمَ أتيت لرؤيتي؟ كما أتذكر أردت التخلص مني بأسرع وقت ممكن».

- نعم! هذا ما جعلتك تظنينه. أليس كذلك؟

- ألم يكن ذلك صحيحاً؟

- تباً! نعم.

شدّ ليام خصلة من شعرها، ثم ابتسم وتابع يقول: «لايزال صحيحاً. لكنني وجدت بأنني لست شجاعاً كما كنت أتوقع».

- ماذا؟

تنهد ليام ثم تحرك كي يلقي ثقل جسده على القدم الأخرى، ثم قال: «لو كنت أملك القليل من العقل لما أتيت إلى هنا».

تراجعت روزا إلى الوراء، وبدأت تقول: «حسناً! إن كان هذا شعورك. . .».

لكنها توقفت عن الكلام وهي تشعر بالذهول حين اقترب منها وعانقها. . .

لم يكن ذلك أمراً غير متوقع، فهما ينتظران هذه اللحظة مذ فتحت له الباب. لكن روزا لم تكن مستعدة للسرعة التي شدها بها نحوه.

شعر ليام أنه لا يملك المناعة الكافية نحو جسدها الناعم الذي يحس به بالقرب من جسده، ولم يشعر بالخجل لاستغلال ضعفها. هذا ما أراده مذ

دخل إلى شقتها. بالرغم من الألم في رجله لم يتمكن من مقاومة روزا.

شعرا بعدم القدرة على التنفس وبأنهما يرتجفان.

قالت له روزا بثقة: «تعال. . . !

أمسكت بذراعه، وجذبته إلى الجهة الأخرى قائلة: «. . .يمكننا أن نرتاح في غرفة الجلوس».

أجابها ليام بصوت خشن مليئ بالعاطفة: «حسناً! نعم. . . هل ستقولين لي إنك لا تشعرين بما أشعر به؟».

- سيكون ذلك غباءً مني. أليس كذلك؟ أعتقد أنك تعرف ما الذي أشعر به وإلا لما أتيت إلى هنا.

- ربما أعرف ما تشعرين به، لكن هناك أمور كثيرة لا تعرفينها.

تركها فجأة ومشى نحو غرفة الجلوس. ثم تابع يقول من دون أن ينظر نحوها: «ألن تشعري بالذعر عندما ترين ندوبي؟».

لحقت روزا به وهي تلف يديها حول خصره وتضغط وجهها فوق كنزته الصوفية. قالت: «أنت تخدع نفسك».

حاولت أن تبدو لطيفة وتحدث جواً مضحكاً، لكن ليام أطلق شتيمة قاسية.

- تعتقدين أنك رأيت الأسوأ لدي، لكنك لم تفعلي. ربما حظيت بما يكفي من الوقت لتتخطي منظر بعض الندوب، لكن هناك المزيد. . .

- صه!

تركته روزا يذهب كي تتمكن من اللحاق به ومواجهته، ثم قالت: «توقف عن الكلام بهذا الشكل. لو أنك أعطيتني فرصة لأتكلم ذلك الصباح لأخبرتك أنه لا تسهل إخافتي».

- لكنك شعرت بالصدمة.

- بالطبع. ما الذي كان ليصيبك لو كنت مكاني، بحق السماء؟ لم أكن أملك أدنى فكرة. . . لكنني لم أتراجع. لم أتردد مهما كانت الأفكار السيئة التي جالت في رأسك. فكرت أنني سأشعر بالخجل. هذا كل ما في الأمر.

فكرت كيف بإمكان أي شخص أن يكون بمثل هذه العدوانية ليفعل بك هذا. إن كنت قد شعرت بشيء فهو التعاطف...

- لكنني لا أحتاج...

- ...لكنني اعتقدت أنك حصلت على ما يكفي من التعاطف. بالإضافة إلى أنني أردت أن أخبرك أن هناك الكثير من المشاعر الأخرى التي بإمكاني تقديمها، لكنك لم تعطني فرصة لأقول شيئاً سوى كلمة الوداع.

- لم أعتقد أن هناك شيئاً آخر يقال.

نظرت روزا إلى ملامحه المضطربة وقالت: «هذا يعتمد على ما ستقوله هذا المساء. لا أدري ما الذي تنوي القيام به... اخلع معطفك».

نظر ليام نحوها، وقال: «تعلمين أنني أود تصديق ذلك».

- حسناً! اخلع معطفك.

اقتربت روزا منه، فأمسكت بمعطفه وأنزلته عن كتفيه، ثم تابعت تقول: «لاشك أنك تشعر بالحرارة هنا بسبب كثرة الثياب».

- في الواقع، أنا أشعر بالحرارة... بالحرارة المرتفعة. لكن ليس بسبب الملابس.

جعل المعطف يقع على الأرض، وتابع يقول: «اقتربي مني».

- لندخل إلى غرفة الجلوس أولاً.

أمسكت روزا يده وجذبته باتجاه الغرفة. في أخر الممر لاحظ ليام وجود بابين. توقع أن أحدهما يوصل إلى الحمام والآخر إلى غرفة نومها.

هذه المرة راح يتأمل غرفة الجلوس بتأنٍ. بدت الغرفة صغيرة لكنها جذابة، وهي ذات جدران عسلية اللون وسجادة بلون الكريما. أما البرادي فذات لون أخضر يتناسب مع لون الأريكتين المريحتين الموجودتين فيها.

- أعلم أن هذا لا يشبه ما أنت معتاد عليه...

لم يدعها ليام تكمل كلامها. استدار نحوها وعانقها من جديد.

قال لها حين تمكن من الكلام مجدداً: «أريد التعود عليك لا على الغرفة. أفضل لو أنك تطفئين النور».

- حسناً! سأنير المصباح الصغير في الزاوية.

وهذا ما فعلته. جلسا متجاورين على إحدى الأريكتين. أرادت روزا أن تخبره بما تشعر به نحوه، إلّا أنها خشيت أن يجعله ذلك يهرب إلى مسافة ألف ميل. على أي حال لم يترك لها ليام مجالاً إذ راح يعانقها بشغف وحرارة سألته بعد أن أنهى عناقه: «هل هذا أفضل؟».

أصبح جسده الضخم كالخيال الآن بسبب الضوء الخفيف الذي ظلّل غرفة الجلوس.

- أجل.

أبعد خصلة شعر شاردة عن وجهها، وراح يتأمل ملامحها الناعمة. أرادت أن يتحدثا عن نفسيهما وعن تفاصيل حياتيهما، لكن ليام كانت لديه فكرة مختلفة. ركع أمامها ودفن وجهه في حضنها.

- هل تعلمين كم فكرت بهذه اللحظة؟

تابع يقول: «هل أنت واثقة أنك لن تكرهيني بسبب الندوب التي تغطي جسدي؟».

- كما أنا واثقة من أي أمر آخر في حياتي.

انحنت روزا نحوه، ومررت أصابعها بين خصلات شعره. أنزلت يديها إلى عنقه، فتحسست آثار الندوب. لم تشعر بالانزعاج أو المقت بل كل ما شعرت به هو الحنان الذي يمكنها تقديمه له.

يا إلهي! لِمَ بقي بعيداً عنها طيلة هذه الفترة؟

راحت تمسد شعره برقة وهي تشعر بفيض من الأحاسيس الغامرة.

من جهته، فكر ليام باندهاش أنه لم يشعر بمثل هذه الأحاسيس الباعثة على السعادة منذ خمسة وعشرين عاماً أي منذ كان مراهقاً.

أمسك بيدها ورفعها إلى فمه، وشعر بأن ملمسها كالحرير. عبس وهو يتذكر أنها بدت متوترة منذ قليل. أتراها كانت تنتظر رجلاً آخر؟ هذه الفكرة جعلت ضغط دمه يرتفع.

لكنه رفض تخريب جمال هذه اللحظة بسبب غيرته.

همس لها قائلاً: «يبدو هذا رائعاً. كنت أعلم ذلك».

حبست روزا أنفاسها، ثم قالت: «أنا سعيدة بذلك. إذ لا يمكن أن يكون لوثر كيليان جذاباً بقدرك».

ابتلع ليام ريقه، وقال بصعوبة: «هل أصبحت تعرفين عن لوثر كيليان؟».

- اشتريت أحد كتبك عندما كنت في اسكتلندا، وتمكنت أخيراً من قراءته.

- أخيراً؟!

ترددت روزا قليلاً، ثم قالت: «هـمم... لم أستطع قراءته وأنا... وأنا في الجزيرة. كان يذكرني كثيراً بك. لكن حين قررت أخيراً أن ليس هناك أمل بأن أراك من جديد فكرت أن كتابك هو أقرب شيء إليك سأتمكن من الحصول عليه».

أخرج ليام أخيراً النفس الذي بالكاد كان يدرك أنه يحبسه، ثم قال: «آه! والآن؟».

- الآن كل ما أريده هو البقاء بجانبك.

١٢ - جدال وهروب

أدرك ليام أنه استسلم للنوم عندما فتح عينيه ووجد نفسه مستلقياً على الأريكة وقد أسند رأسه على إحدى الوسائد الموجودة بوفرة في غرفة الجلوس الخاصة بروزا. علم على الفور أنها هي من وضعت تلك الوسادة تحت رأسه وساعدته على الاستلقاء بارتياح. لابد أنه كان متعباً جداً لأنه لا يذكر شيئاً من ذلك.

لم ينتبه عندما تركت روزا الغرفة. على الأرجح أنه لم يكن واعياً أبداً إلى ما يدور حوله. لكنه شعر بالارتياح، ورغب في الاستلقاء هناك أكثر وتذكر الأحاديث التي جرت بينهما عند وصوله.

شعر ليام بالضعف حيال ما حدث. علم أن روزا تجاوبت تماماً مع عناقه، وقد بدت جذابة ومليئة بالحيوية، ما سمح له بأن يفجر كل المشاعر التي كان يكبحها من قبل.

لكن أين هي الآن؟ رفع ليام نفسه على مرفق واحد وحاول النظر نحو ساعته. كم الساعة الآن؟ لاحظ أن الظلام يحيط بالمكان، لذا من الواضح أن الصباح لم يحن موعده بعد. تساءل لكم من الوقت استغرق في النوم.

صوت الرجل في الخارج جعل شعوره بالارتياح يتلاشى بسرعة البرق. لا بد أن هذا الصوت قادم من المطبخ. أدرك ليام أنه يسمع أصواتاً منذ مدة. فتش عن مفتاح المصباح المجاور وأضاءه. حسناً! تذكر أيضاً أن هذا المصباح كان مضاءً قبل أن يغفو. نظر إلى الساعة من جديد. إنها التاسعة مساءً. عبس وتساءل صوت من هذا. قد تكون روزا معتادة على الاستماع إلى الراديو وهي تعمل في المطبخ.

www.elromancia.com

أتراها نسيت وجوده تماماً؟ فكر ليام بالاتصال بها على هاتفها، لكن ذلك بدا وقاحة بالنسبة له، لذا قرر أن ينتظر حتى تعود إلى الغرفة. فكر أن روزا ستعود إلى الغرفة عاجلاً أم آجلاً.

في تلك اللحظة سمع ليام الرجل يستخدم اسم روزا.

ارتفع صوت الرجل أكثر وهو يقول: «بحق السماء، روزا! ظننت أننا سنتكلم عن هذا الأمر».

لم يسمع ليام رد روزا فقد كانت تتكلم بصوت منخفض أكثر. تساءل إن كانت تخفض صوتها عمداً كي لا تزعجه... أم أنها لا تريده أن يسمع ما تقوله؟ أو ربما لا تريده أن يعلم بأنها لديها زائراً آخر. فكر ليام فيما تأكله شعور بالغيرة لم يتمكن من التحكم به، أنه ربما يكون الرجل الذي كانت ترتدي له تلك الثياب التي لفتت انتباهه لدى وصوله.

قام ليام عن الأريكة بسرعة. الحمد لله أن جسمه استعاد الكثير من نشاطه بالرغم من الألم الذي لايزال يشعر به في رجله. فكر أنه إذا اضطر للعودة إلى سيارته الليلة فعلى الأرجح أنه أصبح بإمكانه القيام بذلك.

حمل سترته المصنوعة من الجلد فوق كتفه وهو يفكر أنه إن كان عليه لقاء زائر روزا فعليه أن يكون مستعداً لذلك.

لم يكن نور المصباح قوياً في الغرفة، لذا استغل الفرصة ليخرج عبر الممر ويفتح أحد البابين الموجودين في نهاية ذلك الممر؛ إنه الحمام، تماماً كما توقع. أضاء النور هناك ومشط شعره بسرعة.

شعر ليام بالجوع وهو يخرج من الحمام. شعر بالكثير من الجوع في الواقع. ربما بإمكانهما الخروج لتناول البيتزا. فكر ليام بذلك وفمه يتشوق منذ تلك اللحظة إلى نكهة جبنة الموزاريلا الذائبة. بعد ذلك... حسناً! تبقى أمامهما خيارات كثيرة...

كان ليام على وشك الدخول إلى المطبخ حين ارتفع صوت الرجل من جديد.

سمع الرجل يقول بغضب: «لا يهمني على الإطلاق من هو ذلك الرجل.

فهو لا يحق له التدخل في حياتك. أنا زوجك روزا... بحق السماء!».

سمع ليام روزا تقاطعه قائلة: «بل زوجي السابق».

لكن الرجل لم يأبه لكلامها، بل تابع يقول: «ألا أستحق بعض الاعتبار من قبلك؟ ظننت أننا اتفقنا على محاولة البدء من جديد».

لم يسمع ليام جواب روزا. وبدلاً من الدخول لمعرفة المتكلم وجد ليام نفسه يقف بمحاذاة الحائط وهو يرفع كتفيه من دون حراك كي يسمع ما يقولانه. إذاً، فهو محق. كانت روزا تنتظر زائراً آخر. إنه زوجها السابق ولا أحد سواه. ما هي اللعبة التي تلعبها روزا الآن؟ بدا له كأن الرجل المسكين تذوق خداعها تماماً مثلما فعل ليام.

أراد الخروج من هناك بأسرع وقت ممكن. ما الذي تحاول هذه المرأة فعله؟ هل تستخدمه لتثير غيرة رجل آخر؟ حسناً! يبدو أنها نجحت في ذلك بالنسبة للرجلين.

شعر ليام كأن معدته ستتمزق. لم يصدق أن هذا النقاش الحاد يجري في المطبخ حيث قام بمعانقة روزا منذ بعض الوقت! حسناً! عليه تجاهل ذلك الآن. ما داما في المطبخ فبإمكانه الخروج قبل أن يفكرا بالدخول إلى غرفة الجلوس.

ألقى ليام نظرة سريعة نحو الغرفة ووجد أنه محق. لقد قامت روزا على الأرجح بوضع معطفه على الكرسي بعد أن خلعه على الأرض لدى وصوله. لاحظ بسخرية أن الكرسي كان تماماً بجانب باب المدخل. أهذه طريقتها لتشير إلى أنه كان على وشك المغادرة؟

سمع صوت خطواته على الأرض، لكن روزا وزوجها - أو زوجها السابق - كانا منغمسين في حديثهما ولم يلاحظا خروجه. لكن فجأة ساد الصمت بينهما، فتساءل ليام بقرف إن كانا يتعانقان الآن. وبالرغم من أنه قال لنفسه إنه لا يكترث، لكنه شعر برغبة في دق عنق ذلك الرجل. لكن المنطق منعه من ذلك.

بالإضافة إلى أن ذلك الرجل كان محقاً حين قال إنه لا يملك الحق للتدخل

في حياتها. إنه لا يعني شيئاً بالنسبة لها، بغض النظر عما يود أن يتخيل. بإمكانها ألا تعني له شيئاً أيضاً كما فكر ليام. لكن لا! لقد أحسنت الصنع معه في الواقع، إذ جعلته يرى بأن ليس جميع النساء مثل كايلا ستيفنس وهذا أمر جيد.

حمل ليام معطفه إلّا أنه لم يحاول ارتداءه. ترك باب الشقة مفتوحاً، لأنه لو حاول إغلاقه فسوف يحدث فوضى قوية.

بعد ذلك توجه نزولاً عبر الدرج بهدوء وخرج من المبنى. فكر ليام عندما وصل إلى الشارع أنه نجح في ذلك، فشعر بالارتياح. مشى من دون أن يلتفت إلى الخلف وهو لايزال يحمل معطفه.

قالت روزا: «ما كان هذا؟».

شعرت أنها سمعت صوتاً ما فدفعت كولين جانباً وخرجت إلى الممر لكنها لم تجد أحداً هناك. بدا المكان خالياً تماماً. لاشك أنها تخيلت ذلك فقط. لا شك أن وجود كولين هنا جعلها متوترة تماماً كالهرة.

قال كولين بعدم رضا: «إذاً، أين هو ذلك الشاب الذي كنت تعبثين معه؟ آه! فهمت الأمر».

نظر إلى الثياب المرتبة التي ترتديها وتابع يقول: «أنت ترتدين ثياباً جميلة من أجله. أليس كذلك؟ أهو مختبئ في الداخل خوفاً من أن أقتله؟».

قال ذلك وهو يمر بجانبها متوجهاً إلى غرفة الجلوس، فيما تابع يقول: «دعينا نرى من الذي غيّر زوجتي».

- كولين! لا تدخل إلى هناك!

أمسكت روزا بذراع كولين وهي تحاول منعه من الدخول إلى الغرفة، لكنها لم تستطع. أضاء كولين النور في الغرفة وهو يقول: «هيا... هيا! واجهني كائناً من تكون».

ثم استدار نحوها بارتباك، وقال: «لا أحد هنا!».

تمنت روزا لو أن مشاعرها لا تظهر بوضوح على تعابير وجهها. أرادت أن تقول: «من توقعت أن تجد هنا؟» لكنها شعرت بالصدمة مثله تماماً.

كما أن كولين يعرفها جيداً، وهي لن تتمكن من خداعه. قال بسخرية: «حسناً! يبدو أن حبيبك هرب منك. ألم أقل لك إنني الرجل الوحيد الذي يمكنك الاعتماد عليه؟».

في الواقع، كادت روزا تضحك من كلامه هذا لولا شعورها بألم مبرح في قلبها. علمت تماماً لماذا غادر ليام. ليس للأمر علاقة بمسألة الاعتماد عليه أم لا. لاشك أنه سمع حديثهما. تذكرت ما الذي كان كولين يقوله، وأرادت أن تصرخ بسبب الغضب الذي تملكها. سبق لها أن أخبرت ليام أنها مطلقة منذ ثلاث سنوات، لكنه بالتأكيد سمع كولين يقول إنها لاتزال زوجته.

من المؤكد أنها لم تعد كذلك منذ زمن بعيد. لو سمع ليام حديثهما كله لفهم الموضوع أكثر، فكولين شخص مغرور جداً ولديه ثقة كبيرة بأنها ستعود إليه. وبالرغم من أنها شعرت بالأسف لأن زواجه الثاني أيضاً لم ينجح، لكن من المستحيل أن تفكر بالعودة إليه.

رفعت روزا إصبعها لتشير نحو الباب قائلة: «اخرج من هنا!».

مع أنها اعتقدت أن كولين سيعارضها، إلا أنه قرر أن ما قاله كان كافياً لهذه الليلة.

- هيا! الباب مفتوح... لهذا لم نشعر به وهو يتسلل إلى الخارج. من هو ذلك الرجل روزا؟ ألا يحق لي أن أعرف من هو منافسي؟

ردت روزا ببرودة قائلة: «لا يحق لك التدخل في شؤوني. ولا تأتِ إلى هنا مجدداً. بالنسبة إلي، لقد اختفيت عن وجه الأرض منذ ثلاث سنوات».

- أنت لا تعنين ذلك روزا!

- ثق بي. أنا أعنيه تماماً.

أمسكت روزا باب الشقة لتفتحه جيداً، وتابعت تقول: «أتمنى ألا أراك من جديد».

تردد كولين، وتساءلت روزا قليلاً ما الذي ستفعله إن لم يكترث لكلامها. هل ستصرخ في وجهه؟ إن كان حظها جيداً سيسمع الجيران

صوتها ويتصلون بالشرطة. لكنه خرج وهو يتابع القول إنها ستندم على ذلك طيلة حياتها.

فكرت روزا بمرارة أنها ستندم لأنها سمحت له بدخول بيتها فقط، ثم أغلقت الباب خلفه بقوة. بعد خروج كولين غرقت روزا في مشاعر الحزن وهي تشعر بالدموع تنهمر فوق وجنتيها. لم تستطع أن تصدق بأن السهرة التي بدأت بشكل رائع قد انتهت بمأساة، وذلك لأنها وافقت على التحدث إلى زوجها السابق حين اتصل في الصباح.

فكرت بمرارة أنها اهتمت بمظهرها بشكل خاص لأنه قادم لرؤيتها. أخذت حماماً طويلاً، ولبست أفضل ما لديها من ثياب عادية، فقط كي تشعر بالارتياح مع نفسها. إنها لا تكنّ أي مشاعر لكولين، لكن ذلك لم يمنعها من الإصرار على الظهور بأفضل حال أمامه. أرادته أن يتمنى لو أنه لم يقم بخيانتها بالرغم من أنه قدم لها معروفاً بفعلته تلك، لأنه جعلها تتخذ قراراً حاسماً بتركه.

الآن، سيظن ليام الأسوأ عنها. لكن عندما قرع كولين الباب كل ما أرادته روزا هو منعه من إيقاظ ليام. لم تشأ حتى أن تدعوه للدخول، لكن كولين دفعها جانباً ودخل وهو يفترض أنها ستشعر بالسعادة للقائه.

لم يصبح مؤذياً وبذيئاً إلا عندما أخبرته أن هناك رجلاً آخر في حياتها، فبعد أن سمع ذلك بدأ يلفق الأكاذيب بشأن سبب مجيئه ويقول إن سبب زيارته هو رغبته بأن يتصالحا مدعياً أنها وافقت على أن يبدأا من جديد.

كانت تلك غلطة فظيعة منها. لو أنها لم توافق على حضور كولين لما وقعت في هذه المشكلة الآن. لكن... تباً! هي لم تتصور مطلقاً أنها سترى ليام من جديد، فكيف لها أن تتوقع قدومه إلى شقتها؟ هل يعقل أن يقود هذه المسافة الطويلة ليكتشف في النهاية أنها ليست أفضل من تلك التي كان خطيبته؟!

بالطبع، هو لا يعرف أنها على علم بفسخ خطبته، لكنها منذ عودتها إلى المنزل وهي تفتش على الإنترنت عن كل معلومة تتعلق بليام جايمسون.

بالمقارنة مع شهرته الواسعة لم تجد روزا الكثير عنه، فالمعروف عنه كما يبدو أنه لا يحب الصحافة. في إحدى مقابلاته قال ليام إن كتبه تتكلم عن نفسها، كما قال إن ليس بالضرورة أن يكون الكتّاب أشخاصاً مثيرين للاهتمام فقط لأنهم يملكون القدرة على سرد القصص الجيدة.

لم تجد روزا الكثير من المعلومات حول الهجوم العنيف الذي تعرض ليام له والذي سبب له كل هذه الندوب. فكرت روزا أن تصرفات ليام هي التي أجبرت الصحافة على الابتعاد عنه على الأرجح. بالإضافة إلى أن الرجل الذي اعتدى عليه انتحر بعد أن اعتقد أنه قتل ضحيته. لم تجرِ الكثير من التحقيقات حول الموضوع، وبقي ليام بعيداً عن الإعلام بسبب وجوده في المستشفى. بعد ذلك بقي في شقته الصغيرة مع حارس شخصي ليضمن خصوصيته حتى يتعافى كلياً.

أما صديقته الحميمة فقد تخلت عنه علناً حالما خرج من المستشفى. لكن روزا تساءلت إن كانت فعلاً قد انتظرت كل ذلك الوقت أم لا. تقول التقارير إنها تركته من أجل شاب لعوب من أميركا الجنوبية يقود الأحصنة في سباقات الخيل. قالت صديقته إن قلبها انكسر من أجل ليام، لكنها مغرمة برايموند الذي أحبته منذ النظرة الأولى ولم تستطع التحكم في مشاعرها.

تصدرت هذه الأخبار عناوين الصحف، وأحد تلك المقالات الكثيرة أسهب في وصف علاقة العارضة الجميلة كايلا ستيفنس بحبيبها الجديد رايموند باجا:

«الآنسة ستيفنس كانت صديقة للكاتب المشهور ليام جايمسون الذي عانى مؤخراً من هجوم أحد المعجبين المجانين. جايمسون الذي صور فيلمه الأول مطاردة مصاصي الدماء بتكلفة باهظة من قبل ستوديو موريللي لم يبدِ استعداداً للتعليق على الموضوع، لكن وكيله دان أرنولد قال إن السيد جايمسون يتمنى للثنائي الحياة السعيدة في المستقبل».

لاشك بذلك. فكرت روزا بسخرية عندما قرأت المقال، أما الآن فهي تفكر بأنها خيبت أمله من جديد. ما هي الحقيقة المفبركة التي اعتقد ليام أنه

سمعها في أكاذيب كولين؟ ما الذي سمعه وأقنعه بأن ليس بإمكانه الوثوق بها أيضاً؟

مسحت روزا الدموع من عينيها، ووقفت على قدميها. لا يجدر بها أن تقف هنا وتشعر بالأسف على نفسها، عليها القيام بأمر ما. لكن ماذا ستفعل؟ هل ترتدي ملابسها وتخرج للتفتيش عنه؟ لا بد أن ذلك سيكون مضيعة للوقت والجهد، فهي لا تملك أي فكرة عن المكان الذي قد يقصده.

لم تكن تعرف أين سيمضي الليلة، حتى إنها لا تعرف رقم هاتف القصر. من المستحيل أن تتخلى عن مسؤولياتها وتذهب للبحث عنه. عليها أن تكون في المدرسة عند الساعة الثامنة من صباح يوم الغد.

عادت إلى غرفة الجلوس. أجالت روزا بصرها حولها متأملة الغرفة التي كانت تبدو كالجنة منذ ساعة والآن تبدو كئيبة مثلها تماماً. وقفت عند الباب وهي تمسح دمعة أخرى، ثم دخلت إلى الغرفة وارتمت فوق الأريكة.

دفنت وجهها في الوسادة ولم تعد قادرة على السيطرة على مشاعرها المتدفقة بقوة. كيف ستستطيع تخطي هذا الموضوع؟

إنها مغرمة به! إنها مغرمة بليام... فكرت روزا أنه لم يعد باستطاعتها أن تتظاهر بعكس ذلك، بالرغم من أن ذلك يبدو غباءً.

فجأة خطر ببالها اسم ما: دان!

نهضت بسرعة عن الوسادة وهي تشعر بالحماسة. نعم... دان أرنولد! هذا هو اسمه. إنه وكيل ليام. إنه بالتأكيد يعرف رقم هاتفه. بالرغم من أنها لم تأمل كثيراً بأن الرجل سيعطيها الرقم لكنه قد يكون مستعداً ليوصل رسالة منها إلى ليام.

أبعدت روزا الوسادة عنها، ووضعت قدميها على الأرض. وقفت بسرعة لكنها سرعان ما تأوهت من ألم أصاب أصابع قدمها. لابد أنها قد وقفت على شيء قاسٍ. أجفلت روزا ونظرت إلى الأسفل وهي تتوقع رؤية فردة من حذائها الذي خلعته سابقاً. لكنه لم يكن حذاءً! إنه هاتف خلوي!

شعرت روزا بالانزعاج، وانحنت لتحمل الهاتف الذي أوجعها بقلة

صبر وهي تقول: «تباً!».

أمضت بضع لحظات وهي تمسد أصابع رجلها التي عانت من الكدمة وتفكر: ما الذي يفعله هاتفها على الأرض؟!

لكنها لاحقاً أدركت أنه ليس هاتفها. يا إلهي... كم هي غبية! إنه هاتف ليام. لاشك أنه وقع من جيبه إلى الأرض. من الواضح أن انعزاله في الجزيرة لم يمنعه من استخدام الهاتف الجوال في المدن.

همست روزا قائلة: «آه، يا إلهي!».

جلست على الأريكة مجدداً. لابد أنه يستخدم الهاتف ليتصل بوكيله وبناشر كتبه أو بأي شخص آخر يحتاجه عندما يكون مسافراً. إنها تحمل في يدها الحل لمشكلتها الآن. لكن هل سيكون الحل سهلاً فعلاً كما تعتقد؟

كان الهاتف مطفأ، والآن بعد أن أخذت نفساً عميقاً وفتحته ظهرت فجأة صورة القصر على الشاشة قبل أن ينبئها الهاتف بورود ثلاث رسائل صوتية لليام.

ثلاث رسائل؟ رطبت روزا شفتيها الجافتين. هل ستجرؤ على فتح الرسائل؟ هل هناك فرصة بأن تكون واحدة من هذه الرسائل من دان أرنولد؟

ضغطت روزا على الزر المطلوب، وانتظرت كي تسمع الرسالة الصوتية الأولى.

سمعت صوتاً نسائياً غير مألوف يقول: «ليام! أين أنت بحق السماء؟ أخبرتني أنك ستكون في فندق موريارتي عند الساعة السابعة والنصف، لكنها الثامنة والنصف الآن وأنا أنتظرك في جناحك منذ نصف ساعة. اتصل بي حالما تصلك رسالتي. هل هذا واضح عزيزي؟ تعلم أنني أقلق بشأنك».

أوقفت روزا الاتصال في تلك اللحظة. إنها هي من يشعر بالغباء الآن. اعتقدت أن ليام أتى لرؤيتها، لكن من الواضح أنها ليست سوى أمراً عابراً في باله. لابد أنه قرر التوقف قليلاً عندها وهو في طريقه إلى لندن ليلتقي

بامرأة أخرى. هزت روزا كتفها، وفكرت أنها لا تكترث إن كانت تلك المرأة أمه أم أخته أم صديقته، فهي لم تفهم سبب زيارته إلى ريبون بالشكل الصحيح.

لم تكترث روزا إن كانت ستكسر الهاتف أم لا، فقد رمته عبر الغرفة وخرجت منها لتبتعد عن أي أثر لليام في شقتها.

أما دموعها فلم تتوقف حتى بعد أن غسلت وجهها وأوت إلى سريرها. بل أصبحت دموعها الحارقة أكثر غزارة فوق خديها...

١٣ - امرأة أخرى

- حسناً! أعتقد أنك مجنون!

التفتت لوسي فيلدنغ نحو أخيها وهي تعد له فنجان قهوة في المطبخ المميز داخل جناحه في الفندق، ورمقته بنظرة تدل على نفاد الصبر.

أجابها ليام وهو يحاول رفع رجله التي تؤلمه على الأريكة بجانبه: «أنت حرة في التمسك بوجهة نظرك بالطبع. ألم تنتهي من إعداد القهوة بعد؟!».

زمت لوسي شفتيها، ثم سكبت كوباً من القهوة الأميركية الداكنة من الإبريق، وحملته إلى أخيها قائلة: «تفضل!».

- شكراً.

بالرغم من أن جسد ليام كان متوتراً جداً بسبب كمية الكافيين المرتفعة التي تناولها في الساعات القليلة الماضية فقد شرب ملء فمه من الكوب الذي أعدته لوسي. تابع يقول: «نعم... إنها لذيذة!».

سمعت لوسي ثناءه وردت بهز كتفها بعدم اكتراث، ثم جلست في الأريكة المواجهة له كي تجبره على النظر مباشرة إلى وجهها. قالت: «بالرغم من أنني لا أعتقد أن القهوة تعتبر بديلاً عن طعام الفطور، لكنني أشعر بالسرور لرؤيتك، لذا فأنا مستعدة لأن أكون كريمة معك».

نظر ليام نحوها من تحت رموشه الكثيفة، وقال: «شكراً لك. أنا فعلاً آسف لأنني جعلتك تنتظرين طويلاً».

- نعم، عليك أن تشعر بالأسف. أتعلم أنك حين اتصلت بي كنت أفكر في الاتصال بالشرطة لأعرف إن كان قد حصل أي حادث سير على الطريق السريع؟

www.elromancia.com

- حسناً! أظنني شرحت لك الأمر. أليس كذلك؟ كان علي الانتظار حتى أصل إلى أقرب منطقة خدمات كي أتمكن من الاتصال بك.

لم يدرك ليام أنه فقد هاتفه الخلوي إلا بعد أن وصل إلى الطريق م١.

أحنت لوسي رأسها، وقالت: «حسناً! شعرت بالارتياح عندما سمعت صوتك، وسامحتك على كل شيء».

- ماذا؟ وهل غيرت رأيك الآن؟ هذا ليس عادلاً.

تنهدت لوسي وقالت: «لم أقل هذا، لكن بما أن مايك سيتغيب حتى يوم الجمعة كنت أنوي قضاء الليلة في المدينة».

صمتت لوسي قليلاً، ثم تابعت تقول: «إذاً... أخبرني من جديد. قلت لي إنك غيرت طريق سيرك كي تقابل فتاة التقيت بها في شهر آب وإن زوجها ظهر في المنزل فجأة. أليس كذلك؟».

أصبحت تعابير وجه ليام داكنة وهو يقول: «لا أريد التحدث في الموضوع».

ألحت لوسي عليه قائلة: «أعتقد أنه يجدر بك ذلك. ما الذي يجري ليام؟ أهناك المزيد ولم تخبرني به بعد؟ كيف التقيت بها؟ اعتقدت أنك لا تصطحب النساء إلى كيلفويل».

- أنا لا أفعل.

- إذاً، ما الذي كانت تفعله هناك؟

أخرج ليام نفساً يعبر عن نفاد صبره وقال: «كانت تبحث عن أختها».

- في الجزيرة أم في القصر؟

- في المكانين. انسي الموضوع لوسي، ارجوك!

تمنى ليام لو أنه لم يطلب من أخته إعداد القهوة. بدت ساخنة جداً ومن الصعب عليه بلعها في جرعة واحدة، ومنعته لياقته من ترك كوبه ممتلئاً بعد أن تكبدت أخته عناء تحضيرها.

زمت لوسي شفتيها من جديد وقالت له باختصار: «لا يمكنني ذلك. هل نسيت أنني كنت بجانبك عندما تخلت كايلا عنك؟ لن أقبل أن تتلاعب امرأة

أخرى بمشاعرك».

قال بسخط: «لكن روزا ليست مثل كايلا».

ألقى ليام رأسه فوق الوسادات.

- إذاً، كيف هي روزا؟

- طويلة، نحيفة وذات شعر أحمر.

- ليس هذا ما أعنيه بسؤالي. تعرف ذلك تماماً. كيف هي حقاً؟

شدد ليام على كلامه وهو يقول: «إنها لا تشبه كايلا أبداً! لن أهينها أبداً باستخدام اسمها مع اسم كايلا ستيفنس في الجملة نفسها».

صححت له أخته قائلة: «كايلا باجا. على فكرة، سمعت أنها عادت إلى لندن، وأنها ورايموند قد انفصلا، وهي تخبر الجميع أنك الرجل الوحيد الذي أحبته فعلاً».

نظر ليام نحوها بشك وقال: «أنت تمزحين!».

هزت لوسي رأسها: «لا! أنا أتكلم بجدية. التقيت بها في هارودز منذ بضعة أيام، وأصرت على التحدث إلي. سألتني إن كنت أراك هذه الأيام».

ابتسمت لوسي، وتابعت تقول: «بالتأكيد جعلتها تعتقد أننا نلتقي دائماً. لم أعتقد أن من الجيد أن تعرف بأنني أراك مرتين في العام لا أكثر».

كشر ليام وقال: «تعرفين أين أعيش».

- لكن لا يمكن الوصول إليك بسهولة. أليس كذلك؟ وأنت بالكاد تأتي إلى لندن هذه الأيام.

تنهد ليام وقال: «أنا كاتب، ولدي عمل. تعرفين ذلك».

ترددت لوسي قليلاً، ثم قالت: «أعرف ذلك. ماذا عن كايلا؟».

حاول ليام التخفيف من حدة كلامه ومن إطلاق الشتائم احتراماً لوجود أخته، لكنه قال: «بإمكان كايلا أن... تذهب إلى الجحيم. أنا لا أكترث إن لم أرها من جديد في حياتي».

فكر ليام أن ما قاله صحيح. ظل يتفادى الحديث وحتى التفكير بكايلا لمدة طويلة، لكنه فجأة لم يعد يكترث لما يقوله أي كان. مهما كانت المشاعر

الذي اعتقد أنه يكنها لكايلا فقد اختفت كلها. هز ليام رأسه لشعوره بالتحرر منها.

علقت لوسي وهي تبتسم: «أنا سعيدة لسماعك تقول هذا. من الواضح أن روزا... ما اسم عائلتها؟ شانتغ؟ لا... تشانتري. نعم، روزا تشانتري. من الواضح أنها تملك شيئاً لا تمتلكه أي امرأة أخرى».

شعر ليام بالاكتئاب وقال: «انسي الموضوع لوسي».

حدقت لوسي إليه بدهشة، وقالت: «كيف سأتمكن من هذا؟ ألم تخبرك أنها متزوجة؟».

تمتم ليام قائلاً: «إنها ليست متزوجة، أو على الأقل أنا لا أظن ذلك».

- ماذا؟ لكنك قلت...

سمع ليام ما يكفي. أعاد الكوب الذي انتهى من شرب نصف محتواه إلى الطاولة، ووقف على قدميه الثقيلتين. أوقفها عن الكلام بحركة من يده، ثم قال: «أحتاج إلى حمام طويل، بعدئذٍ سأتكلم مع دان قبل أن أذهب لمقابلة أرون بارغتر. إن كنت تودين البقاء فأهلاً بك. لكن لا تتوقعي أن أسليك طوال النهار».

- ما الجديد في هذا؟ أظن أن بإمكاني قضاء ليلة أخرى إن لم يكن لديك مانع، فأنت ما زلت تدين لي بعشاء.

رمقها ليام بنظرة ملؤها الانزعاج، وقال بصوت أظهر عدم اكتراثه: «حسناً! لك ما تريدينه. سنتناول العشاء معاً الليلة، مادمت تعديني بألّا تقومي بمحاولة إرشادي وتوجيهي حول كيفية تسيير شؤون حياتي».

قالت لوسي ببلاغة: «يا لك من نذل!».

فابتسم ليام وهو يغادر الغرفة.

* * *

بدت الأيام القليلة التالية مملة.

لم تتمكن روزا من النوم بصورة جيدة. وبالرغم من أن والدتها اتصلت بها أكثر من مرة تطلب منها القدوم لتناول الطعام، إلّا أن روزا بمزاجها

الحالي لم تشعر أنها قادرة على التعامل بشكل حضاري مع أختها صوفيا.

تخلت أختها عن دراستها في الجامعة بعد شهر واحد فقط من بدء فصل الخريف. أخبرت روزا وأمها أن الدراسة بدت مملة جداً، أما الآن فهي تعمل في وكالة تسويق في هاروغيت. ومما يبدو أن مظهرها كان كافياً لجعلها تنال الوظيفة بالرغم من عدم تمتعها بأي خبرة على الاطلاق.

كان على روزا أن تعترف بأن الوظيفة تناسب صوفيا كثيراً. إنها تعمل في مكتب الاستقبال، ولا شك إنها وجه مرغوب لمثل هذه الوظائف. بالرغم من أن صوفيا ستشعر بالملل قريباً من تلك الوظيفة، لكنها سعيدة بها في الوقت الحاضر.

لكن ذلك لم يجعل روزا تشعر بالمزيد من الحماس لتمضية الأمسية وهي تستمع إلى الحديث عن مدى أهمية عمل صوفيا، لا سيما أنها لا تستطيع إلا أن تفكر بليام وبما قد أضاعته من بين يديها كلما رأت أختها. بدا الأمر مزعجاً بما يكفي في السابق، لكنه ازداد سوءاً الآن. إنها لا تريد حتى أن تفكر بما حصل أو أن تعترف حتى لنفسها بأن الأمر ما كان ليستمر.

أليس هذا ما قالته له، بحق السماء؟ أليست هي من وعدته بأنها لن تطلب منه أي التزام؟ ربما كانت تخدع نفسها عندما اعتقدت أن كلام كولين هو الذي جعله يتركها. ربما كل ما أراده هو القليل من التسلية قبل أن يتابع طريقه إلى لندن.

لم تعلم ما علاقة تلك المرأة بالموضوع بالطبع. كل ما تمكنت من التفكير به هو أن تلك المرأة بدت صبورة جداً وهي تنتظر وصوله إليها. على أي حال، أعطتها تلك المرأة على الأقل عنوانها كي تتمكن من إرسال هاتفه إليها. أرسلت روزا هاتف ليام إلى فندق موريارتي في اليوم التالي بالرغم من أنه تعرض لبعض الخدوش عندما رمته.

شعرت روزا بالغضب ولم يعجبها الوضع حين خرجت يوم الجمعة من المدرسة لتجد كولين بانتظارها. كان يقف بجانب سيارتها وقد بدا من تعابير وجهه أنه انتظرها لفترة ليست قصيرة في ذلك الطقس البارد.

سألته روزا وهي ليست في مزاج يسمح لها بإجراء المحادثات: «ماذا تريد مني؟».

شعرت بالتعب وهي تنتظر عطلة نهاية الأسبوع بفارغ الصبر كي تحظى بكمية كافية من النوم.

قال كولين بامتعاض: «أنت لا تتصرفين بشكل ودود معي».

وضعت روزا في هذا الوقت حقيبتها التي تضم الأعمال المدرسية التي عليها إنهاؤها في العطلة في المقعد الخلفي للسيارة. قال لها كولين: «توقعت أن تكون أعصابك قد هدأت قليلاً منذ ذلك الوقت».

- أعصابي... ! ماذا تعني؟

أوضح كولين بنفاد صبر: «أقصد أنك عدت إلى طبيعتك. اسمعي! هل بإمكاننا الذهاب إلى مكان ما للتحدث؟».

- ليس لدينا ما نتكلم عنه كولين. اعتقدت أنني أوضحت موقفي جيداً. أنا لا أريد رؤيتك من جديد.

شعر كولين بالذهول وقال: «أنت لا تعنين ما تقولينه».

- أحقاً؟

- نعم...

بدا من الواضح أنه يبحث عن الكلمات المناسبة: «اسمعي... ! أعلم من هو ذلك الرجل. الرجل الذي تخلى عنك... أخبرتني صوفيا».

- صوفيا؟!

تململ كولين في مكانه بتوتر، ثم قال: «نعم... أعني بعد أن رميت بي خارجاً تلك الليلة علمت أنه يجب أن يكون هناك تفسير ما. لذا قمت صباح هذا اليوم بالاتصال بصوفيا».

حدقت روزا فيه وسألته: «أنت تعلم أين تعمل صوفيا؟».

- آه، بالطبع! أحد الرجال الذين يعملون في المرآب أخبرني. تيري هادلي. هل تذكرينه؟ إنه يعمل...

قاطعته روزا بغضب وقالت: «لا يهمني البتة أين يعمل رجل التقيته في

المرآب، لكن أود أن أفهم كيف يعرف صوفيا؟».

نظر كولين نحو قدميه، وقال: «حسناً! إنها معه منذ بعض الوقت. أليس كذلك؟».

- إنها... ماذا؟

تمتم كولين: «أعني أنها تخرج برفقته. إذاً... بحق السماء روزا! لا تقولي إنك لا تعرفين شيئاً عن الموضوع؟».

هزت روزا رأسها: «من الواضح أنني لا أعرف. منذ متى يجري ذلك؟».

آخر شيء عرفته روزا عن صوفيا هو أنها لاتزال مرتبطة بمارك.

تجهم وجه كولين الآن وتابع يقول: «ما الفرق لديك؟ أعتقد أنها تخرج معه منذ أن تركت الجامعة، لكنها فتاة كبيرة الآن روزا. إنها لا تحتاج إلى إذن منك».

- لا... الطبع.

زمت روزا شفتيها لكنها لم تقل المزيد. إلّا أنها ببساطة فتحت باب سيارتها وجلست في مقعد السائق.

أمسك كولين الباب قبل أن تتمكن من إغلاقه، وقال: «هيه! ماذا عني؟».

- ماذا عنك كولين؟

- هيا، روزا! متى سأراك من جديد.

أدارت روزا محرك السيارة وهي تقول: «أتمنى ألا يحصل ذلك مطلقاً».

رفض كولين ترك الباب: «أنا لا أصدقك. أعني... هيا! ذلك الرجل الذي التقيته في اسكتلندا... ليام جايمسون... أنت لا تتوقعين فعلاً أن يعود إليك. أليس كذلك؟».

شعرت روزا بالألم وهي تقول: «لا».

لكنها أرادت أن تكون صادقة مع نفسها قبل أن تكون صادقة معه.

- تباً! ها أنت تقولين ذلك بنفسك. إنه مليونير! بإمكاني أن أقول إنه

يستطيع الحصول على أي امرأة يريدها. أنت امرأة جذابة روزا... أعلم ذلك، لكن لا يمكنك منافسة النساء اللواتي يعاشرهن. هل سبق أن رأيت صورة عارضة الأزياء التي كانت خطيبته؟ إنها جميلة جداً.

قالت روزا بغضب وهي تشعر بالذهول لمدى تأثير هذا الكلام فيها: «آه! ابتعد كولين. سبق أن قلت لك إنني لا أريد رؤيتك من جديد. ماذا تريدني أن أقول أكثر؟».

فكرت روزا أن كولين يبدو كطفل صغير بالرغم من أنه يبلغ السابعة الثلاثين من عمره.

- نعم ماذا تريد منها أن تقول أكثر؟ هيا! اذهب من هنا مادمت تستطيع ذلك.

قال ذلك صوت منخفض لم تتوقع روزا سماعه، لكن قبل أن تتمكن من الكلام استدار كولين نحو مصدر الصوت.

أطفأت روزا محرك السيارة، وخرجت منها غير مصدقة ما تراه. لكن قبل أن تستطيع التكلم أصبح لون وجه كولين أحمر، وسأل بعدم ارتياح: «إلى من تعتقد أنك توجه الكلام؟ هذه محادثة شخصية. هيا! اختفِ من أمامي قبل أن أقوم بلكمك على وجهك».

اتجهت نظرات ليام نحو روزا قبل أن ينظر من جديد نحو الرجل ويقول: «في أحلامك. هيا! تحرك من هنا كولين. أخشى أنني لا أعرف اسم عائلتك، لكنني سأتعايش مع هذا».

شعرت روزا بالرعب. هي تعلم جيداً أن كولين من النوع الذي يغضب بسهولة، أما ليام الذي يستلقي على الصندوق الأمامي لسيارتها فيبدو متعباً.

كان يرتدي معطفه الطويل من جديد لكنه كان مفتوحاً، فيما كتف ليام ذراعيه وأخفى أصابعه تحتهما. أما قدماه فقد لفهما أمام بعضهما. بالرغم من القلق الذي شعرت روزا به بشأنه إلّا أنه بدا إنساناً كاملاً لا يشوبه أي عيب. كاملاً إلى درجة تمكنه من مواجهة رجل معتاد على استخدام قبضته ليوجه لكمة للناس كي يصل إلى مبتغاه.

لم يبدُ على كولين بأنه عرف كيف يتعامل مع ليام، لكنه تقدم بشكل وحشي وعدائي نحوه، ثم قال: «من تظن نفسك كي تكلمني بهذه الطريقة؟ أنا أرحل متى أشعر برغبة في ذلك».

قال ليام بقلة اهتمام: «ابتعد عنها».

رأت روزا عينيه الخضراوين تنظران نحوها من جديد، وبدا كأنه لا يكترث أبداً لتهديدات كولين. قال يخاطبها للمرة الأولى: «مرحباً! تبدين متعبة. هل كان هذا الشخص المزعج يضايقك؟».

انشقت شفتا روزا عن بعضهما، لكن قبل أن تستطيع التكلم اقترب كولين إلى الأمام أكثر ثم أمسك بقبة معطف ليام وقال له: «من الذي تنعته بالشخص المزعج؟».

ثم قرب وجهه من وجه ليام وهو يستخدم كل تعابير وجهه وعضلاته ليهدده، فيما تابع يقول: «هيا! أجبني أيها السيد الذي يسيء اختيار مواعيده. لم تعد تجد الكثير من الكلام الآن، أليس كذلك؟».

- كولين...!

لم يسمع أحد صرخة روزا. استدار ليام نحو كولين ولم يبدُ عليه الخوف منه أبداً، بل قال وعلى وجهه ابتسامة سخرية: «هل تعتقد ذلك؟ لسنا كلنا أغبياء أيها الحقير. ليس علينا أن نستخدم العنف لنبرهن رجولتنا».

بدا ليام معتداً كثيراً بنفسه، فتأوهت روزا لأنها تعلم تماماً ما الذي قد يقدم عليه زوجها السابق.

- أنت...

رفع كولين ذراعه، لكن قبل أن يتمكن من توجيه اللكمة لليام بادره ليام بلكمة في خاصرته. سمعت روزا صوت العظام المقزز بسبب ارتطامه بيده. على الفور ترك كولين قبة معطف ليام كي ينحني ويضع يده فوق خاصرته ليتمكن من أخذ النفس من جديد.

- أيها... أيها الوغد!

قال كولين ذلك حين تمكن من التكلم من جديد، أما ليام فلم يبدُ عليه

الانزعاج على الاطلاق.

ابتعد ليام عن السيارة وقوّم وقفته، ثم قال: «ثم وصفي بكلام أسوأ من هذا قبل اليوم. هل تود تجربة اللكمة من جديد؟».

صرخت روزا وهي تقف بينهما قائلة: «يا إلهي، لا! هنا مدرسة، بحق السماء! أي مثال ستقدمانه للتلاميذ بتصرفكما هذا؟».

أجابها ليام بهدوء قائلاً: «رحل التلاميذ منذ مدة. لا تقولي إنك تشعرين بالأسف على هذا الـ...».

منع ليام نفسه من استخدام الكلمة البشعة التي أراد أن يصف بها كولين. هزت روزا رأسها وقالت: «تعلم أنني لا أفعل».

مررت لسانها فوق شفتيها لترطبهما، ثم تابعت تقول: «لكن... لكن ما الذي تفعله هنا؟ أرسلت لك هاتفك إلى الفندق. ألم يصلك؟».

وضع ليام يده فوق كتفها وهو يجذبها نحوه قائلاً: «تباً للهاتف! تعالي إلى هنا».

لم يكترث ليام لكون كولين لايزال يراقبهما بمرارة، فقام بمعانقة روزا بسرعة.

اعترض كولين بغضب: «بحق السماء، روزا!».

لكنها بالكاد سمعته.

حين أنهى ليام عناقه تمتمت كأنها تحلم: «اغرب عن وجهي كولين. ألم تلاحظ أنك تضيع وقتك هنا؟».

حدق كولين بها وهو يقول: «ستندمين على ذلك روزا».

لكن ليام أجابه قائلاً: «آه! أتمنى ألا تفعل».

مشت روزا نحو المقعد المجاور للسائق بينما جلس ليام خلف المقود. نظر ليام نحو الرجل الآخر خارج السيارة وهو يقول: «ما رأيك أن تذهب لتبكي على كتفي صوفيا. يبدو أنها الشخص الوحيد الذي تعتمد عليه للحصول على الدعم. أليس كذلك؟».

لم يتوقع كولين هذا الجواب، فاستدار نحو روزا بعينين غاضبتين وأمسك

الباب، ثم قال: «هل سمعته؟ هل سمعت ماذا قال عن أختك؟».

نظرت روزا نحوه وقالت: «أعتقد أنه كان يتحدث عنك كولين. وداعاً».

ثم أخذت تقهقه بينما ضحك ليام من دون أن يتمكن من التحكم بضحكته.

بالرغم مما حدث ظلّ كلاهما صامتين فيما قاد ليام السيارة الصغيرة خارج حرم المدرسة. بدا كأن كولين قد حفرة فجوة بينهما، والآن بعد أن رحل لم يعد أي منهما يستطيع التفكير بأي شيء ليقوله.

كسر ليام الصمت ليسألها: «من أي اتجاه أذهب؟».

كانا قد وصلا إلى الطريق الرئيسي الذي بدا مزدحماً بالسيارات بسبب خروجهما في فترة بعد الظهر. تابع يقول: «لا أعرف كيف أصل إلى منزلك من هنا».

حدقت روزا به وقالت: «ألا تذكر؟».

ابتسم ليام وقال: «إن كنت تعنين تلك الليلة، فقد مشيت من السوق القريب من الساحة حتى وصلت إلى منزلك».

استغل ليام الفرصة ليمر بسيارته وسط هذا الازدحام، ثم تابع يسألها: «إذاً، علي الذهاب من هنا. أليس كذلك؟».

وافقت روزا قائلة: «نعم».

آه! لو أنها علمت أنه لم يكن يملك وسيلة نقل تقله بسرعة يوم الثلاثاء... لو أنها ارتدت ملابسها ولحقت به لتمكنت من...

لتمكنت من فعل ماذا؟ تساءلت روزا وهي تبعد الفكرة حالما وصلت إلى ذهنها. إن مجرد وجوده هنا الآن لا يعني أنه لم يكذب عليها في السابق. جعلها ليام تعتقد أنه أتى من كيلفويل خصيصاً كي يراها بينما كان في الواقع متجهاً إلى لندن للقاء امرأة أخرى. ما أدراها أنه ليس في طريقه إلى اسكتلندا الآن وقد قرر الاتصال بها ليحصل على بعض التسلية معها؟

- ما خطبك؟

www.elromancia.com

شعر ليام بأنها مخذولة حالما تغير مزاجها من الشعور بالفرح للقائه إلى شعور بالارتباك، فبسبب حماسها لرؤيته نسيت كيف افترقا. لكن بمَ تراها تفكر الآن؟ هل تفكر بأنهما كانا معاً من قبل لكنه خذلها؟

سألته روزا في تلك اللحظة وعيناها مثبتتان على أضواء السيارات: «ما الذي تفعله هنا؟ أين سيارتك؟ لا تقل لي إنك تركتها في السوق القريب من الساحة مجدداً؟».

أخبرها ليام وهو يحاول إبقاء تركيزه على الطريق أمامه: «لم أستخدم السيارة. قائد طائرتي لديه صديق يملك مزرعة قريبة من ريبلي، وقد هبط بالطائرة هناك ثم أقلني صديقه إلى البلدة».

لم تستطع روزا منع نفسها من الاستدارة نحوه وهي تقول: «هل تتكلم عن طائرتك الخاصة؟».

هزّ ليام رأسه إيجاباً فتابعت تقول: «اعتقدت أنك تفضل استخدام سيارتك».

- أنا أفضل السيارة عادة، لكنني وجدت أن هذه الطريقة هي الأسرع والأسهل، إذ علي العودة إلى لندن غداً.

ابتلعت روزا غصتها ورددت خلفه: «غداً؟».

لكنها لم تستطع ضبط نفسها، فقالت: «لا أعلم لما أزعجت نفسك بالقدوم إلى هنا!».

أطلق ليام شتيمة في سره. لم يكن هذا هو نوع الأحاديث الذي يفضل عادة التحدث فيه وهو يقود سيارة. تباً! توقع أن يصلا إلى شقتها قبل أن يبدأا التحدث عن سبب زياراته القصيرة. يعرف ليام أنه خذلها لكنه خذل نفسه أيضاً، وأمامه الآن ساعات قليلة كي يقنعها بأنه لن يفعل ذلك مجدداً.

قال من بين أسنانه: «روزا أنت تعلمين لما أتيت! ألم تدركي السبب من قبل؟».

- كيف؟ بتوجيه لكمة إلى كولين قبل أن يفعل؟

- لن أعتبر هذا جواباً منك.

نظر بانزعاج نحو الشارع المزدحم، ثم سألها من جديد: «والآن من أين أذهب؟».

أخبرته روزا كيف يتجه، وبينما أخذ فرصة ليقطع من جهة إلى أخرى قام أحد السائقين بإطلاق بوق سيارته اعتراضاً على قيادته، لكن ليام رفع يده ليشكره ويعتذر منه. بعدئذٍ زاد من سرعة السيارة وقال: «هذا يسيء إلى صورتي أمام الناس، فأنا عادةً سائق متزن».

- لماذا أجد صعوبة في تصديق ذلك؟

لكن ليام كان قد تخطى غضبه، فرفع إحدى يديه عن المقود ليضعها فوق رجل روزا وهو يقول: «لأنك لا تعرفينني بما يكفي».

ورغم محاولتها إبعاد رجلها، إلا أنه أمسك بركبتها بأصابع قوية وتابع يقول: «لا تقلقي ستتعرفين علي أكثر قريباً».

علقت روزا وهي تشعر بالألم: «مثلما تعرفك المرأة التي كانت تنتظرك في الفندق في لندن أليس كذلك؟».

اضطر ليام إلى إبعاد نظره عن الطريق ليرمقها بنظرات الذهول. ثم تمتم يقول: «كيف عرفت؟ روزا... هذه أختي. بالطبع أنت لم تظني أنني...».

توقف عن الكلام من جديد ليعيد انتباهه إلى الطريق. أمسك المقود بقوة، ورأت مفاصل أصابعه تبيض من شدة الضغط عليه. تابع يقول بقسوة: «لوسي هي أختي. لا تتفوهي بأي كلمة أخرى حتى نصل إلى شقتك».

١٤ - لا أريد الشفقة

كان على ليام أن يركن السيارة في شارع ريشموند لأنه لم يجد مكاناً خالياً لركن السيارة أمام المبنى الذي تسكن فيه. بينما أقفل ليام السيارة ركضت روزا نحو مدخل بوابة بيتها.

كانت قد فتحت البوابة وصعدت الدرج ووصلت إلى شقتها قبل أن تسمع صوت قدمي ليام على الدرج. من الواضح أنه لايزال يعاني من ألم في رجله. عانت روزا كي تمنع نفسها من العودة لمساعدته لأنه بالتأكيد لن يقبل بذلك.

لن يشعر بالفرح إن عادت لتساعده. فكرت روزا بذلك وهي تشعل النور وتشغل سخان المياه. وفيما هي تقوم بتلك المهمات لم يرد في ذهنها سوى كلمة «أختي». هل كانت تلك أخته حقاً؟ أرادت أن تصدق ذلك، لكن هل ستتمكن من تحمل الوضع إن كان يكذب عليها ويجرحها من جديد؟

دخل ليام إلى الشقة وهو يشعر بالارتياح لوصوله. سمح للباب بأن يغلق لوحده خلفه ثم اتكأ عليه، لكن عندما لاحظ أن روزا تراقبه من المطبخ قال وهو يحاول السخرية من نفسه: «أنا أتقدم في السن. أليس كذلك؟».

ضغطت روزا شفتيها على بعضهما، وبالرغم من أنها بدت كأنها لا تصدقه لكنها لم تعارضه أيضاً. بدلاً من ذلك خلعت معطفها الجلدي وقالت له: «لِمَ لا تجلس؟».

وافقها قائلاً: «نعم. لِمَ لا أفعل؟».

جلس على الأريكة بامتنان ثم نظر نحوها وسألها: «لِمَ لا تنضمين إلي؟».

ترددت روزا، لكنها هزت رأسها أخيراً وسألته بنبرة صوت غير مستقرة: «ألا تود شرب شيء ما؟ لابد أنك تشعر بالبرد».

أكد لها قائلاً: «صدقيني، أنا لا أشعر بالبرد. هيا، روزا! تعالي واجلسي. تعرفين أنك تريدين ذلك».

- أحقاً؟

شعرت روزا بالغضب للحظة، لكن عيني ليام أصبحتا داكنتين وقال بانعدام صبر: «إن كانت الطريقة التي عانقتني بها من قبل حقيقية فأنا أقول نعم، أنت تريدين ذلك. اسمعي! أعرف أن لديك شكوكاً حولي. حسناً! أنا لا ألومك بعد الطريقة التي تصرفت بها. لكننا لن نستطيع حل الأمور إن أصريت على التصرف كعذراء غاضبة!».

- هل يفترض بهذا الكلام أن يجعلني أسامحك؟ حسناً! علي إخبارك أن الأمر لم ينجح.

- آه، روزا! لا تدعيني أركض خلفك.

لكن روزا لم تتحرك، بل قالت: «أنا لست مذنبة إن كانت رجلك تؤلمك».

بدت طريقتها استفزازية وغير متعاطفة، لكن ليام تمنى لو أن بإمكانه الامساك بها لجعلها تعترف أنها سعيدة برؤيته بقدر ما هو سعيد برؤيتها.

لكنه بدلاً من ذلك قال: «أنا أتكلم بجدية».

- أنا لم أطلب منك أن تقود من إحدى نواحي البلاد البعيدة إلى الناحية الثانية.

- لا. لكن ليس هذا هو السبب الذي جعلني أعود إلى العيادة في لندن.

حدقت روزا فيه وسألته: «ماذا؟».

- قلت...

- سمعت ما قلته.

اقتربت روزا خطوتين نحو الأريكة، وتابعت تقول: «أي عيادة؟ عمَّ تتكلم؟».

تنهد ليام وأغمض عينيه للحظة، ثم قال: «هل علينا أن نتكلم عن هذا الآن؟».

- نعم، أخبرني!

فتح ليام عينيه من جديد، وقال: «تعالي إذاً، واجلسي بقربي».

- لن أفعل إلا بعد أن أفهم ماذا تعني بقولك إنني السبب في عودتك إلى العيادة.

- آه، يا إلهي! حسناً، أعتقد أنه ذنبي أنا وليس ذنبك أن العاصفة حاولت القضاء علي.

عبست روزا وقالت: «أتعني قبل أن أغادر الجزيرة؟».

ربت ليام فوق المقعد بجانبه ليحثها على الجلوس، ثم قال: «نعم. تعالي روزا! أعدك بأنني لن ألمسك إذا كنت لا تريدين ذلك».

بقيت روزا مكانها، وقالت: «أخبرني عن العيادة. أي نوع من العيادات تقصد؟».

هزّ ليام كتفيه، وقال: «النوع الذي يتعامل مع الأشخاص الذين يعانون من عجز جسدي».

صمت ليام قليلاً لأنها لم تتحرك للانضمام إليه، ثم تابع قائلاً: «حين قام أحدهم... بالاعتداء علي...».

صمت من جديد، ثم سألها: «هل تعرفين بشأن ذلك؟».

- أعرف فقط أن مجنوناً ما حاول قتلك.

ضحك ليام قليلاً، ثم قال: «حسناً! هذا يختصر الموضوع في الواقع. ذلك الرجل واسمه غريغ كندي خلط بيني وبين إحدى شخصيات كتبي».

بدت روزا متفاجئة: «الوثر كيليان؟».

- لا. ليس كيليان، بل مصاص دماء شرير يدعى جوناس وايلدر، وهو يجني الأموال الطائلة من الخيال المرعب. أعتقد أنك فهمت الرابط.

- هل اعتقد أنك جوناس وايلدر؟

أجاب ليام بجفاء: «بلحمه ودمه. إنه شخصية عدوانية».

بالرغم من أن ليام كان يحاول جعل الأمر سلساً، إلا أن روزا تمكنت من رؤية الظلال الداكنة في عينيه وهو يتكلم. تابع يقول: «لكن من حسن الحظ أنه لم يكن محظوظاً في تحقيق النجاح مثل لوثر».

اقتربت روزا منه وجلست إلى جانبه على الأريكة. أمسكت يده بين يديها وقالت: «آه، ليام! لابد أنك شعرت بالرعب».

- أعتقد أنني كنت مصدوماً لدرجة أنني لم أشعر بشيء بسوى عدم التصديق. يقول الأطباء إنني شاركت في القتال بسبب الجروح الناتجة عن الدفاع عن نفسي. أتذكر أنه كان يصرخ ويقول إنه سيخلص العالم من وحش آخر.

أجبر ليام نفسه على إظهار ابتسامة، ثم قال: «يا للسخرية! استخدم ذلك الرجل نصلاً فولاذياً. إن أي شخص لديه اهتمام بمصاصي الدماء كان ليخبره أنه يحتاج إلى قطعة خشبية تغرز في القلب كي تقتل مصاص دماء».

أمسكت روزا أنفاسها وقالت: «هذا ليس مضحكاً».

رمقها ليام بنظرات كئيبة، ثم قال: «هيه... أعرف ذلك. أنا لست بطلاً روزا. راودتني الكوابيس المرعبة لأشهر طويلة بعد حدوث ذلك».

- آه، ليام! لابد أن ذلك كان شنيعاً.

رفعت روزا يده ووضعت شفتيها فوق مفاصل أصابعه. رأى ليام الدموع تترقرق في عينيها.

هزّ رأسه، لكنه سحب يده من بين يديها وقال: «لم يكن أمراً رائعاً لكنني لا أريد شفقتك».

عارضته روزا قائلة: «هذه ليست شفقة، لكنني لا أعرف ماذا علي أن أقول. هذا كل شيء».

أخذ ليام نفساً عميقاً وقال: «بإمكانك القول إنك سعيدة لرؤيتي».

قالت روزا بصوت أجش: «تعرف أنني سعيدة. لكن... لكن حين أتذكر أنك مررت إلى هنا وأنت في طريقك إلى لندن لرؤية امرأة أخرى...».

www.elromancia.com

تنهد ليام، ثم قال: «كنت في طريقي إلى العيادة. لم أخبرك بذلك لأنه أمر لا أشعر عادة بالفخر به».

اعتقدت روزا أن بإمكانها تفهم هذا بالرغم من أنها رأت أن ليس هناك ما يخجل به. سألته: «وهل فعلت؟ هل دخلت إلى العيادة؟».

- نعم. دخلت بالأمس وخرجت اليوم لأطير فوراً إلى هنا. لكن علي العودة اليوم من جديد.

- آه! أهذا ما عنيته عندما قلت إنك مضطر للعودة إلى لندن في اليوم التالي؟

راقب ليام وجهها الشاحب، وقال: «نعم. هل تصدقينني الآن؟».

- بالطبع.

- لا يمكنك قول ذلك ببساطة. منذ دقائق فقط اتهمتني بأنني ذهبت إلى لندن للقاء امرأة أخرى. بالمناسبة، متى تكلمت مع لوسي؟ لم تقل قط إنها تلقت اتصالاً منك.

لهثت روزا وقالت: «هل تعرف بشأني؟».

- آه، نعم.

- هل أخبرتها بذلك؟

- تمكنت من سحب الكلمات مني. أختي تملك تصميماً قوياً. إن أرادت شيئاً لا تتراجع حتى تحقق مطلبها.

أصبحت وجنتا روزا زهريتي اللون، وقالت: «يا للسماء!».

نظر ليام نحوها، ثم علق قائلاً: «هل تستنجدين بالسماء لتحل مشاكلك على الدوام؟».

حدقت روزا به للحظة وكأنها لا تعرف كيف تجيبه، ثم أدركت أنه يمازحها فقالت وهي تضربه على ذراعه من دون نية في إيذائه: «يا لك من رجل!».

- هذا أفضل.

أصبح صوت ليام مرتاحاً وخالياً من التوتر الآن.

ضمها إليه بقوة وعانقها بشغف. مرّ وقت طويل لم يقولا خلاله أي شيء.

بدا عناقه حاراً وجعلها تدرك أن تمردها وخوفه هما اللذان جعلاهما بعيدين عن بعضهما طيلة هذه المدة. مرر ليام يده في شعرها، وقرب رأسها بيده نحوه كأنه يريدها أن تصبح جزءاً يخصه وحده.

تمتم قائلاً: «كان الأمر يستحق العودة من أجله وخشيت أن ترفضي رؤيتي من جديد».

عاد يعانقها من جديد كأنه لا يصدق أنهما معاً وأنها حقاً بين ذراعيه.

همست روزا في أذنه قائلة: «لم تعتقد ذلك فعلاً وإلا لما عدت إلى هنا».

فهم ليام قصدها، ولاحظت روزا كم يبدو جذاباً رغم محاولته إخفاء ذلك والتظاهر بالهدوء.

قال لها: «لا، لكن بالرغم من ذلك بإمكانك أن تشكري لوسي على ذلك».

- لوسي؟!

تراجعت روزا إلى الخلف، وألقت رأسها فوق كتفه فيما تابعت تقول: «أتقصد أختك؟».

هز رأسه وقال: «هي التي عملت على إقناعي أنني أتصرف بغباء».

فتحت روزا عينيها بعدم تصديق، وقالت: «لمَ فعلت ذلك؟».

- إنها طريقتها في التعامل مع الأمور. إنها تصر وتصر حتى تصل إلى مبتغاها أو تعرف ما تريد معرفته، فيضطر الآخرون إلى الرضوخ لمحاولاتها.

- أهي من أرادت أن تعرف عني؟

نظر ليام إليها نظرة مطولة وقال: «وكأنك لم تعرفي».

- هيا، أخبرني! أريد أن أسمع ما قالته لك.

- نعم. حسناً...!

أرجع ليام رأسه إلى الوراء وغطى وجهها بيديه فيما تابع قائلاً: «قبل أن أخبرك ربما عليك أن تقولي لي كيف عرفت بشأن لوسي».

www.elromancia.com

تنهدت روزا وقالت: «آه... ! ألم تحزر؟».

- أضحكيني بسرد القصة.

تنهدت روزا من جديد، وقالت: «حسناً! ما دمت مصراً.... استمعت إلى رسالتها الصوتية على هاتفك».

زمّ ليام شفتيه وقال: «آه! هل لهذا علاقة بذلك الانبعاج وتلك الخدوش التي أصابت الهاتف؟».

ظهرت على وجه روزا نظرة تحدٍ وهي تقول: «هل لاحظت ذلك؟».

مرر ليام أصابعه فوق وجنتيها ما سبب لها ارتعاشة، ثم قال: «آه! نعم. لوسي هي من لاحظت ذلك في الواقع».

قالت روزا تتهمه: «وأعتقد أنكما ضحكتما كثيراً من الأمر».

أصبح لون عينيه داكناً ثم قال: «لا! لكن هذا الأمر أعطاني الجرأة على المجيء إلى هنا لأعرف إن كنت قد انزعجت لأنني خرجت من منزلك مسرعاً أم لأسباب أخرى».

هزت روزا كتفيها وقالت: «أسباب... مثل ماذا؟».

- مثل... حسناً! بعد أن استمعت إلى رسالة لوسي بنفسي أقريت أنها ربما تكون قد.. فهمت من قبلك بشكل خاطىء.

ابتلعت روزا ريقها ثم قالت: «إذاً، هل عرفت الآن لماذا اعتقدت أنك ذهبت لرؤية امرأة أخرى في لندن؟».

- نعم.

- وأعتقد أنه من حسن الحظ أن كولين كان موجوداً أمام المدرسة عندما أتيت إلي بعد ظهر اليوم لتقابلني.

نظر ليام نحوها بغرابة: «لن أصف الأمر بهذا الشكل».

ارتجف صوت روزا وهي تقول: «لا. لكن أعتقد أنه وفر عليك أن تسألني إن كنت مازلت أقابله. أعني عندما غادرت الشقة من الواضح أنك سمعت أكاذيبه».

- لا تفعلي!

وضع ليام يده فوق فمها ليمنعها من متابعة كلامها، وقال: «لا تفعلي عزيزتي».

بدت عيناه مليئتين بالعطف، وتابع يقول: «أنا لا أحتاج أن تشرحي لي كم كنت مغفلاً. يا إلهي! أنا نادم لأنني لم أعطك الفرصة لتشرحي لي موقفك قبل أن أغادر».

صمت قليلاً، ثم رفع يده عن فمها وعانقها من جديد، ليتابع بعد ذلك قائلاً: «لكن حاولي أن تتفهميني إن استطعت. أنا أعرف خطئي أكثر من أي شخص آخر. أعرف أنني لن أربح يوماً حفلة منافسة جمالية، وأصبحت أجرؤ على الاعتراف بأن الفتاة التي كانت خطيبتي تركتني بعد الهجوم علي لأنها اكتشفت بأنه تم الاعتداء علي وبأنني أصبحت أبدو كالوحش وربما اعتقدت أنه لم يعد بإمكاني ممارسة دور الرجل الطبيعي».

- أنت لا تبدو كالوحش. كما... كما أنه بإمكانك... تعلم...

توقفت روزا عن الكلام، فابتسم ليام وقال بحس فكاهي: «آه... نعم! تعلمين أنني لست ضعيفاً، لكن بالنسبة للصفات الأخرى...».

- ليام أنت الوحيد الذي ترى أن جروحك مخيفة، مع أنها في الواقع مجرد ندوب تختفي مع الوقت.

رفعت روزا إصبعها لتدل على قلبه، وتابعت تقول: «بدأت تختفي فعلاً من جسدك لكنك مازلت تحتفظ بها هنا».

انحنت روزا نحوه ومسدت جبينه، ثم قالت: «عليك أن تنسى الأمر. إنها ليست أمراً خطيراً صدقني! ليس بالنسبة لي... ليس لأي امرأة تكترث للمشاعر».

تمتم ليام وهو يمرر يده حول رقبتها: «حسناً! بما أنك المرأة الوحيدة التي أكترث لأمرها أعتقد أنه علي أن أصدقك. لكن لأكون صادقاً معك أنا أعترف بأنني شعرت بالسعادة لرؤية طليقك من جديد».

عبست روزا وقالت: «أحقاً؟».

- نعم. وإن كنت تريدين أن تعرفي فقد أردت أن ألكمه منذ أتى إلى

الشقة. أعتقد أن الرسالة وصلته.

شعرت روزا بابتسامة على زاوية فمها. قالت: «لا شك أنها وصلت، أما أنا فشعرت بالقلق وخشيت أن يقوم بإيذائك.»

قال ليام يطمئنها: «هيه! بعد أن تمكنت من الوقوف على قدمي بعد الحادث أخذت دروساً في الدفاع عن النفس. بالرغم من أنني أتمنى ألا أواجه شخصاً مجنوناً يملك سكيناً مرة أخرى، لكن مقارنة بغريغ كندي بدا كولين أشبه بقطعة حلوى».

وضعت روزا ذراعيها حول عنق ليام مجدداً، وقالت: «نعم، هذا ما لاحظته. والآن هل تود أن نتناول العشاء أم تفضل احتساء شراب ما؟».

أجابها ليام: «أفضل البقاء بقربك».

مرر أصابعه تحت قبة الكنزة التي كانت ترتديها إلى المدرسة ثم قال لها: «خشيت ألا يكون الأمر سهلاً، وأن يكون ما سمعته في المرة الماضية من زوجك السابق صحيحاً».

- ماذا تعني؟

أنزل ليام معطفه وسترته عن كتفيه، وقال لها: «أعني... هل فكرت حقاً بالعودة إليه؟».

قالت روزا ببساطة: «منذ أن تركت كولين لم أندم يوماً على ذلك القرار».

قال ليام: «وهل ما زلت مستعدة لاتخاذ قرارات جريئة في ما يتعلق بالعلاقات العاطفية؟».

أخذت روزا نفساً عميقاً وسألته: «ماذا تعني؟».

- هل تتزوجين بي؟

الخاتمة

بعد مرور سنة ونصف السنة، وقفت روزا عند نافذة غرفة النوم وهي تتأمل المنظر المذهل الممتد أمامها؛ إنه الربيع! بدأت كيلفويل تعج بالألوان الزاهية، وبدأت أزهار النرجس والخزامى تنمو حول جدران القصر. بالأمس أخذها سام لتشاهد الظهور الأول لبراعم الأوركيد، وعندها اكتشفت روزا ولع سام بالأزهار لا سيما أزهار الأوركيد، وعرفت أنه يزرع الكثير منها في أحد البيوت البلاستيكية.

وقفت خلف النافذة ورأت المحيط المغطى بالزبد الأبيض. بالكاد صدقت أن سنة مضت على زواجها من ليام. إنها تعيش في كيلفويل الآن، بعد الأسابيع الأربعة التي أمضياها في الكاريبي بعد الزواج. لكن روزا شعرت كأنها كانت تعيش هنا منذ زمن بعيد. وتماماً مثل ليام ليست لديها الرغبة بالعيش في أي مكان آخر على الاطلاق، فهذا هو بيتهما.

لكن الأشهر الماضية بدت غير عادية وذلك منذ ظهر ليام في المدرسة. في البداية اعتقدت روزا أنها تحلم، فمجرد حب ليام لها بدا أمراً رائعاً.

نعم، إنه كذلك!

شعر أفراد عائلتها بالصدمة حين عرفتهم في البداية إلى ليام. شكت والدتها بجديته حيال ابنتها الكبرى، وقالت بطريقتها الغريبة في التفكير: «لو كانت صوفيا مكانها ماكان الأمر ليفاجئني».

تعودت روزا على هذا الطريقة، وتحملت في ما مضى تعليقات والدتها غير اللطيفة، لكن ليام لم يستطع رؤيتها تتألم. قال عندما أصبحا بمفردهما: «المشكلة هي أن والدتك لا تدرك أن لديها ابنتين لكن واحدة منهما فقط هي

www.elromancia.com

امرأة حقيقية».

صوفيا نفسها بدت فيلسوفة بشكل مفاجئ. وبالرغم من أنها تحاول دائماً جذب الرجال إليها إلا أنها لم تدافع عن نفسها عندما مازحها ليام بذلك الشأن. أخبرت روزا أن ليام رجل مرموق، وتمنت لو أنه هو الذي أخذها إلى لندن بدلاً من ذلك النذل جيد هاستنغ.

الحدث الوحيد الذي أفسد الأمر هو ظهور كايلا ستيفنس.

كان على ليام العودة إلى عيادة كينغزبريدج، وعندما اكتشفت كايلا وجوده هناك رمت بنفسها عليه وأخذت ترجوه أن يسامحها وهي تقول إنه الرجل الوحيد الذي أحبته فعلاً.

بالطبع، حرصت كايلا على جعل هذا الحدث يتصدر عناوين المجلات. وبالرغم من أن ليام كان يتصل بروزا كل يوم ليقول لها إنه يفتقدها، إلّا أنها لم تستطع منع نفسها من القلق حيال كايلا ووسائلها لإقناعه بالعودة إليها.

لكن بالرغم من ذلك، وبعد يومين بالتحديد من تصدر أقوال كايلا العناوين عن زيارتها للعيادة، ظهر ليام في ريبون من جديد وهذه المرة حمل معه خاتم الخطوبة.

ظهرت صور خطوبتهما في مجلة التايمز في اليوم التالي. وبالرغم من أن ليام أراد أن تستقيل روزا من عملها وتعود معه إلى اسكتلندا، لكنه قبل في النهاية أن ينتظرها حتى عطلة الميلاد لتنضم إليه.

أما الآن...

أخذت روزاً نفساً مرتجفاً حين قال لها صوت ضعيف: «ماذا تفعلين؟».

استدارت لتجد أن زوجها قد استيقظ أيضاً. جلس وهو يستند على مرفقيه وقد أزاح الغطاء الدافئ عن رجليه. بدا ليام رائعاً بسمرته وهيئته المسترخية، فتركت روزا النافذة وجلست قربه في السرير.

- كنت فقط أتأمل المناظر الخلابة.

ابتسم ليام وهو يقول: «هـمم... أعرف تماماً ما تعنينه».

لكنه كان ينظر نحوها لا نحو النافذة، لذا دفعته فوق الوسادة ممازحة.

تمسكت بجسمه كي تمنعه من النهوض، وقالت: «أنت لا تصدقني، لكنني سعيدة بعودتي إلى المنزل، لذا سأسامحك».

قطب ليام حاجبيه وسألها بنبرة صوت ساخرة: «ألم تستمتعي بشهر العسل؟».

أجابته بفرح: «شهر العسل بدا كالجنة. أحببت الكاريبي، وأنت تعرف ذلك. لكن هنا هو المكان الذي سنعيش فيه».

ابتسم ليام لها وتمتم قائلاً: «أتعرفين؟ لم أكن أدرك أن الفتيات ذوات الشعر الأحمر قد يكتسبن سمرة باللون البني، لكن لون بشرتك أصبح جميلاً».

حبست روزا أنفاسها، وقالت: «هل تحاول أن تستنتج بأنني لست ذات شعر أحمر في الحقيقة؟».

- آه! لا. أعرف أنك كذلك، ومن يعرف أكثر مني؟

لم تستطع روزا ضبط نفسها فاحمرت وجنتاها، وأرادت أن تغير الموضوع فقالت: «على الأقل لم أعد نحيلة مثلما كنت عندما التقينا».

وافق ليام على كلامها وهو يمرر يده فوق جسدها: «نعم، أنت تسمنين بشكل جميل. ستشعر السيدة ويلسون بالفرح».

شعرت روزا بالذعر وقالت: «أنا لست سمينة. أليس كذلك؟».

ثم خرجت من السرير، وتوجهت إلى غرفة تغيير الملابس حيث توجد المرآة الكبيرة وراء الباب. صرخت وهي تمرر يديها فوق ردفيها قائلة: «يا إلهي! بدأت أسمن بالفعل! أصبح لدي أرطال من الدهون».

ثم أصدرت صوتاً ينم عن القلق، فيما تابعت تقول: «علي أن أتوقف عن تناول حلوى الشوكولا التي تعدها لي السيدة ويلسون وتغريني بها».

ظهر ليام خلفها، وللحظة شتت تفكيرها بجسمه الرشيق وعضلاته الجميلة. كانت الندوب لاتزال هناك لكنها لم تعد تلاحظها هذه الأيام. حتى ليام لم يعد يدرك وجودها أو يشعر بالانزعاج بسببها.

قال وهو يمرر يده على خصرها ليقربها منه: «توقفي عن التذمر. أنا

أحبك كما أنت».

هزت روزا رأسها وقالت: «لكنني لم أسمن يوماً!».

ثم شعرت بالارتجاف بسبب لمسة يده فوق جسدها، فهي لمجرد لمسة منه تشعر بالنار تشعل في داخلها.

احتضنها ليام بذراعيه القويتين وهو يقف خلفها. مرغ وجهه فوق رقبتها، ثم نظر نحو انعكاسها على المرآة واقترح قائلاً: «ألا تظنين أن السبب قد يكون أمراً مختلفاً عزيزتي؟ أعني أنت امرأة متزوجة الآن».

التقطت روزا أنفاسها وهي تقول: «ما الذي تقصده؟».

- حسناً! نحن متزوجان منذ سنة، وأعرف أننا لم نأخذ أي احتياطات أثناء علاقتنا الحميمة.

حدقت روزا إليه وقالت: «هل تظن... أنني قد أكون حاملاً؟».

هز ليام كتفيه وقال: «أعلم أنك تصرين على عدم قدرتك على إنجاب الأطفال، لكنني لست مقتنعاً بذلك. ثم... أن شقيقتيّ أنجبتا الأولاد وأنا أعرف كيف ظهرتا أثنا فترة الحمل. أرى أن الأمر مماثل الآن».

أخرجت روزا نفساً كبيراً، ثم مررت أصابعها فوق بطنها فشعرت أنه مشدود بحيث يبدو واضحاً أن ذلك ليس تراكماً للدهون. يا إلهي! فكرت روزا أنها لم تضع هذا الاحتمال أمام عينيها يوماً من قبل.

فبعد خمس سنوات من زواجها من كولين وعدم حصول حمل ولو مرة واحدة أثناءها افترضت روزا بشكل طبيعي أنها هي الملامة وأنها لا تستطيع الانجاب.

أخذت روزا تفكر منذ متى انقطعت عادتها الشهرية، ثم أدركت أنها انقطعت منذ ثمانية أسابيع. يا إلهي! شعرت بارتجافة وفكرت: هل من الممكن أن يكون ذلك حقيقياً!

قال ليام بلطف شديد: «تعلمين أنه من الممكن أن يكون كولين هو الذي لا يستطيع إنجاب الأطفال؟».

أدارت روزا وجهها نحوه ونظرت في عينيه وقالت: «هل تعتقد ذلك؟».

رمقته بنظرات مليئة بالتساؤل، فرد ليام بابتسامة مطمئنة.

ثم سألها باعتداد: «ولمَ لا؟ فهو لم يكن ناجحاً في أي شيء. أليس كذلك؟».

خرجت منها ضحكة متوترة، ثم قالت: «و.. إن كنت فعلاً حاملاً، فما هو شعورك أنت؟».

قال ليام بصوت أجش: «هيه! ما دمت أنت سعيدة فأنا سعيد أيضاً. كنت أود أن أحتفظ بك لنفسي فقط لمدة أطول بقليل لكن لهذا السبب وجدت الجدات والأجداد».

- هل تعتقد أن والديك سيشعران بالفرح؟

سبق والتقت روزا بوالدة ليام ووالده وكذلك بشقيقتيه وعائلتيهما، وقد أحبتهم كثيراً. لكن فكرت لاحقاً أن من الطبيعي أن تحبهم، لأنهم هم الذين جعلوا ليام يصبح الرجل الذي هو عليه اليوم.

أكد ليام لها بحزم قائلاً: «سيشعران بالكثير من السعادة. أعني أنا أصبح أكبر سناً يوماً بعد يوم. والساعة البيولوجية لا تتوقف أبداً».

قالت روزا وهي تكاد تتوقف عن التنفس: «أعتقد أنه لم يعد هناك ما تقلق بشأنه».

استدارت نحوه ثم تابعت تقول: «هيا! لنذهب من هنا. بدأت أشعر بالبرد، كما أنه لدينا أمر يستحق الذهاب للاحتفال به».

قربها ليام منه وضمها في عناق محموم جعل الحرارة تدب في أوصالها من جديد.

ولد ابنهما بعد مرور ستة أشهر ونصف الشهر. ولد سين ليام جايمسون في غرفة النوم الأساسية في قصر كيلفويل بحضور القابلة المحلية فقط، بالرغم من القلق والخوف اللذين شعر بهما والده.

كان ليام قد أعد كل التجهيزات للقيام بنقل روزا بالطائرة إلى مستشفى ماليج حالما تدخل مرحلة المخاض، لكن عاصفة خريفية تسببت بارتطام سفينة للصيد في البحر الشمالي ما جعل ستة من صيادي الأسماك يعلقون

وسط البحر. لذا بالرغم من قلق روزا على نفسها فقد رأت أن استخدام الطائرة لإنقاذ هؤلاء الرجال هو أكثر أهمية من نقلها إلى المستشفى. بدت روزا قوية جداً، وحسبما قالت القابلة فقد كانت جاهزة بامتياز للولادة بشكل طبيعي جداً ومن دون حاجة لا لوجود طبيب ولا حتى لجناح خاص بالولادة.

وهذا ما حدث بالفعل. الولادة كانت سهلة وجاءت بشكل مفاجئ ولم تستغرق وقتاً طويلاً حتى. عندما وضعت الممرضة الطفل بين يدي ليام للمرة الأولى بدا ليام مذهولاً تماماً.

قال وهو يعطيه لزوجته: «إنه جميل جداً».

ابتسمت روزا وهمست له: «تماماً مثل والده».

ثم لمست وجنة الطفل الناعمة، لكن ليام هز رأسه وقال لها بحزم: «أنت هي المرأة الجميلة».

وبالرغم من أن روزا كانت تشعر بالحر وبالتعب وتتصبب عرقاً لكنها أدركت أنه يقصد تماماً ما يقوله...

www.liilas-romancia.com